الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبوبكر بلقايد- تلمسان

كلية الآداب و اللغات

قسم لغة و أدب عربي

تخصص: دراسات مقارنة

2013
Fac 11/10-4260

مذكرة لنيل شهادة الماستر موسومة بـ:

الأدب المقارن مفهومه و مدارسه

من الإعداد الطالبة:

*- دوزي سارة

تحت إشراف الأستاذ:

*- بلقاسم محمد.

السنة الجامعية: 2011م/2012م

TAS_810_17/01

بسم الله الرحمن الرحيم

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

إهـــــــداء

إلى منبع الحنان و رمز الوفاء و الإخلاص، إلى والدي اللذان سقيان من رضـــاهما و أنارت دربي وأضاءت حياتي إلى من عانت و ضحيا براحتهما من أجلي.

إلى والدي يا أغلى من في الوجود.

إلى من كان السبب في وصولي إلى هذه الرتبة، أقدم كامل شـــكري و احترامـــي إلى والدي و إخوتي و أبناء أختي كل من ياسر و طارق و أنس.

و في الأخير: أرجو أن أكون قد قدمت رسالة ذات منهج سليم، إن وقفت في ذلك فبفضل من الله تعالى و توفيقه، وإن كانت الأخرى، فلي من حسن النية ما أعتذر به إليكم.

و ما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت و إليه أنيب.

2012/06/26

كلمة شكر

مهما قلنا و مهما أثنينا، فلن نستطيع أن أتقدم كل شكر إلى من ساعدنا من بعيد أو من قريب و عمل على دعمنا ماديا و معنويا لانجاز هذا البحث المتواضع منذ بداية المشوار.

أتقدم بخالص الشكر و الامتنان الخالص للأستاذ المشرف و الأستاذة على هذه الرسالة

" الدكتور محمد بلقاسم " الذي له الفضل الكبير لتوجيهنا و تقديم النصح لنا كما كان لنا الشرف الكبير للتعامل معه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد أشرف الخلق وسيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فالبحث الذي بصدد أن ألقي عليكم، و موضوعه –الأدب المقارن مفهومه و مدارسه- وبما أن الأدب المقارن من العلوم المعاصرة في الآداب المقارنة ، ومنها اكتشاف لقيمة فنية وأسلوبية لكل أدب . فالمقارنة تشمل على أن يكون الاختلاف في اللغتين ولتعرف على حضارات أمم من خلال التأثير والتأثر ، وأين تكمن أوجه التشابه والاختلاف في كل أدب ما من دولة وبأي لغة .

ومن أسباب اختيار الموضوع ، أشير بصفة موجزة إلى أن الدوافع هذه الدراسة كثيرة وعلى رأسها قلة الدراسات في هذا المجال ، لأن الخوض في مثل هذا الموضوع التي ما يزال الكثير من جوانبه غامضة يتحاشاها الدارسون .

وأيضا لغياب مصطلح – المقارن – في الوسط الجامعي وفي الدراسات الأكاديمية ، وللمقارنة اكتشاف علم آخر من علوم الأدب العربي ولنهوض به في مجال المقارنة ، ولغياب الدراسة المقارنة العربية بمنهج صحيح وبمدرسة تمثلها ولها خصائصها .

ما هو الأدب المقارن ؟ وما هي مدارسه ؟

ومن المصادر والمراجع التي استعنت بها في بحثي ألا وهي كالتالي :

- الأدب المقارن ، د.محمد غنيمي هلال .

- الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق ، د.إبراهيم عبد الرحمن محمد .
- الأدب المقارن مشكلات وآفاق ، عبود عبده .
- مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن ، د.أحمد شوقي رضوان .
- طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث ، د.عصام جهى .
- الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ، الطاهر أحمد مكي .
- الأدب المقارن ، د.طه ندا .
- الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ، سلوم داود .
- دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، محمد زكي العشماوي .
- مدارس الأدب المقارن ، سعيد علوش .

و المنهج الذي سلكته في بحثي هذا – المنهج التاريخي الوصفي – إذ ومن المنهج التاريخي استنبطت منه عدة تعاريف ووصفت الأدب المقارن من حيث مفهومه ، ومصطلح ومقارنة والموازنة .

وأما المدارس فاستقرأت تاريخها من حيث ظهورها وتسميتها وروادها ثم وصفة كل مدرسة وهي أسسها والمنهج الذي تسلكه .

وسلكت بحثي ب ’’ الأدب المقارن مفهومه ومدارسه ’’ ففي الفصل الأول عرفت الأدب المقارن من حيث هو دراسة مقارنة أي أنه لابد في الأدب المقارن أن تكون هناك مقارنة بين أدبين إما يختلفان في اللغة أم لا .

ومن الباحثين من يعد الموازنة ضمن الدراسة المقارنة للأدب المقارن ، اذ من الموازنة هو معرفة الجيد من الرديء من الأدب وأن الموازنة لا تكون إلا في جنس واحد من اللغة والمبحث الثاني تطرقت إلى مصطلح الأدب المقارن من انه مصطلح تداول بين الدارسين والباحثين في الأدب ، ومفهومه عديدة إذ هي تكون مقارنة بين أدبين إما أن تربطهم صلة تاريخية ومن التأثر والتأثير لكلا من الأدبين . والفصل الثاني عرضت مدارس الأدب المقارن الأجنبية والعربية فالمبحث الأول استعرضت المدارس الأدب المقارن الأجنبية الثلاث ، المدرسة الفرنسية والتي كان أسس دراستها أنه هو المنهج التاريخي هي أن تكون رابطة تاريخية حتى تكون المقارنة ، والمدرسة الأمريكية على المنهج الاشتراكي ، والمدرسة السلافية تعتمد في منهجها على المقاربة السوسيولوجية ، والفصل الثالث أهم رواد المقارنة في الغرب والعرب .

ومن الصعوبات والمشكلات أولهما : هي صعوبة تحديد مفهوم الأدب المقارن من خلال كل فرد دارس وناقد للأدب المقارن .

وثانيها : قلة المصادر والمراجع وصعوبة الاهتداء إليها ، وحتى وان توفرت فإنها موجودة في أماكن صعبة ، إن هذه الصعوبات لم تزدني إلا رغبة ونشاطا لتقوية العزيمة ومضاعفة الإرادة لتجاوز كل صعوبة .

مدخل

مدخل

- الرسالة الإنسانية للأدب المقارن

الأدب المقارن ، من حيث هو فن، أدب جديد كل الجـــدة علـــى الأدب العـــربي الحديث و هو كالفنون الأدبية الحديثة التي نهلها العرب عن الغرب اثر حركـــة الترجمـــة و الانبعاث و البعثات المتخصصة ، كالقصة و المسرحية، و الرواية، والمقالة[1].

إلا أن تبقى للأدب المقارن رسالة أسمى و هي تغذية شخصيتنا القوميـــة ،و تنميـــة نواحي الأصالة في إستمداداها ، و توجيهاها توجيها رشيدا، و قيادة حركات التجديـــد فيها على منهج سديد مثمر،و إبراز مقومات قومياها في الحاضر و توضيح مدى امتـــداد جهودنا الفنية و الفكرية في التراث الأدبي العالمي- إلى جانب دلك كلـــه،تظل لـــلأدب المقارن رسالته إنسانية أخرى ،على الكشف عن أصالة الروح القومية في صلتها بـــالروح الإنسانية العامة في ماضيها و حاضرها.فمن المسلم ب هان أعمق ما يشق عن روح الأمة هو أدبها ،كما أنه لا يكشف شيء عن وحدة الروح الإنسانية-في جهـــدها الـــدائب في سبيل التحرر و السلام و إفراز حرية الفرد و الأمة-ما يشف الأدب الإنـــساني كلـــه.و معرفة كلا الأمرين الحق المعرفة تتوقف على معرفة الأخر :فلا يـــستطاع تقـــويم الأدب القومي حق التقويم،ولا توجيه خير توجيه،إلا بالنظر إليـــه في نـــسبته إلى التـــراث الأدبي الإنساني جملة،كي يتاح له أن يقوم بوظيفته الإنسانية من ثنايا قوالبه الفنية،و أن يؤكـــد القيم [2] الحضارية بتأديته لرسالته القومية والوطنية.

[1]- الآداب المقرنة، محمد التونجي، دار الجيل بيروت ط1 1990، ص5.
[2]- الأدب المقارن، د غنيني هلال، دار العودة ودار الثقافة بيروت ط5 1980 ص(ب)

وقف الشاعر الهندي رابندارانات تاجور، عام 1908 في جامعة جادافيور في كلكتا، يتحدث عن الرسالة الإنسانية للأدب المقارن، ونقتطف من حديثه هذه العبارات" دعيت لأتحدث في موضوع ما تسمونه بالإنجليزية: الأدب المقارن Comparative Littérature ... وما أحاول أن أقوله ينحصر في أمر واحد فكما أن الأرض ليست مجموعة قطع من مساحات تملكها الشعوب المختلفة والاعتداد بالأرض على أنها كذلك لا يمكن أن يصدر إلا عن إدراك الزراع والفلاحين فكذلك الأدب: ليس مجرد مجموعة أعمال الأدبية صاغتها أيدي الكتاب المختلفين، على أن كثيرا من بيننا يفكرون في أمر الأدب على الطريقة التي سميتها طريقة الفلاحين في أمر الأرض. ومن هذه الإقليمية الضيقة علينا أن نقوم بتحرير أنفسنا، فعلينا أن نجاهد كي ننظر في عمل كل مؤلف بوصفه جزءا من خلق الإنسان العالمي، وننظر غلى هذا الروح العالمي في مظاهره من خلال الأدب العالمين وهذا ما آن لنا الآن ان نفعله"[1]

وبوصف آداب المم الأخرى صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب، ثم ما يمت غلى ذبك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب.

[1] -مرجع سابق (الأدب المقارن غنيمي هلال ص ج

والحدود الفاصلة بين تلك الآداب هي اللغات فالكتاب أو الشاعر إذا كتب كلاهما بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه[1] البشري الذي انحدر منه ، فلفات الأدب هي ما يعتد به الأدب المقارن في دراسة التأثير والتأثر المتبادلين بينهما.

إلا أن الأدب المقارن لا يقوم في حدود دراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية، والقضايا الإنسانية في الفن، بل إنه يكشف عن جوانب تأثير الكتاب في الأدب القـــومي بالآداب العالمية[2]

لكن الوظيفة القومية والوطنية تبدو –في المقارنة من خلال تعارض ثنـــائي مركـــزه الذات، وقد حملت منذ البد، التناقض بين ما يفرضه الواقع من كلية وحـــضور تـــاريخي يسمحان بالتأثير ويبرزان المقارنة وما تنوي عليه مركزية الذات وأصالتها من دلالة العزلة والجزئية ولهذا كان مفهوم العالمية- بالمعنى المضاد للمركزية الفردية، أساســا في الـــوعي المعرفي إجمالا وفي وعي الدراسات المقارنة والشاعر الهندي طاغور هو الذي وقف متحدثا في مؤتمر للأدب المقارن عام 1908 عن الرسالة الإنسانية للأدب المقارن وقال: " من هذه الإقليمية الضيقة علينا أن نقوم بتحرير أنفسنا ... وننظر إلى هذا الروح العالمي في مظاهر من خلال الدب العالمي"

1- المرجع نفسه ص9.

2- مرجع سابق (الدب المقارن غنيمي هلال ص 9-10.

وأيضا كما قال الفرنسيان كلوبيشور أندريه ميشل روسو: " لكي يولد تعبير أدب مقارن كان من الضروري أن نسترد روح جديدة.. تؤمن بالأممية والحرية والانفتاح، وتنكر كل نزعة إلى الانعزالية والشعورية والانحصار"[1]

وهذا الانفتاح على الثقافات المختلفة، وهذا الامتزاج بين لونين من الآداب أو بين حضارتين وثقافتين، وهذا التفاعل المثمر الذي يتم بين شعوب العالم جدير بأن يبعث الحياة والتطور في آداب الأمم، وأن يجعلها منتعشة مزدهرة تسري فيها دفقة القافية وتنشر في دمائها عناصر إحياء وتجديد، فتظهر فنون لم تكن موجودة من قبل، وتتلون[2] الحضارات بألوان جديدة، وبيد الإنسان المبدع سواء كان شاعرا أم كاتبا ان فيلسوفا أكثر قدرة على الدخول في حوار حضاري مع العالم، وأكثر عمقا في إنتاجه، بل بما استطاع أن يحول الاتجاه الأدبي والفكري في بلده، وأن يتمكن من خلق أشكال جديدة من الفن لم تكن لها وجود من قبل.[3]

وإن من أسمى رسالة هي زيادة التفاهم والتقارب بين الشعوب بمعرفة عاداتها، وطرائق تفكيرها، وآمالها الوطنية، وآلامها القومية، وتبادل المنفعة بالأخذ والإعطاء، والتأثر والتأثير فليس معنى هذا أن ينصرف جهدنا في هذه السبيل عن العناية أو لا بأدبنا القومي وفهمه حق الفهم، وإجادته كل الإجادة والإفادة ترجى من وراء هذا الدرس الدبي

[1]- دراسات في الأدب المقارن صالح زياد، الرياض دار المفردات 2006 (د ط) ص ج
[2]- دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، د. محمد زكي لعشماوي دار الشروق ط$_1$ 1994 ص18.
[3]- مرجع سابق (دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن لمحمد زكي لعشماوي) ص18.

المقارن على يد باحث لم تكتمل شخصيته الفنية وتتضح ذاتيته الأدبية القومية. ولا خلاف بين الباحثين في أن دراسة الدب المقارن يراد بها في المقام الأول إثراء الآداب القومية بما يستفاد من الآداب الأجنبية[1]

وضربنا المثل بالأدب الإنجليزي وما أصابه من عزلة في فترة من الفترات نتيجة الكبرياء الإنجليزية حين توهم أدباء الإنجليز أن أدبهم أرفع وأسمى من سائر الآداب، وظلوا كذلك في عزلتهم حتى تسلل إليهم التيارات الأمريكية في الفكر والحضارة ونظم الحياة الاجتماعية نفسها واهتزت لفتهم أمام ما وفد عليها من ألفاظ وتراكيب وطرائق تعبير جاءتهم من الأدب الأمريكي و لم تكن هذه المواجهة بين الأدب الإنجليزي والأمريكي ترابل بل كانت مصدر خير لأنها زودت الأدب الإنجليزي بأفكار واتجاهات جديدة، وحطمت في المواطن الإنجليزي روح الغزو والاستعلاء حين قدمت إليه ألوانا كانت تنقص أدبه، وحركت الغيرة الوطنية في نفوس الأدباء الإنجليز إذ وجدوا في الأدب الأمريكي متحديا ومنافس، ودفع هذا الأدب الإنجليزي إلى التحدي لإثبات امتيازه وتفوقه، وهذه غيرة محمودة لأنها تقوم على المنافسة والإجادة والرغبة في إثبات الذات على أسس سليمة لا على الإدعاء والأوهام.[2]

وإذا تجاوزنا رسالة الأدب المقارن وفوائده بالنسبة للأدب القومي، وبدأنا نبحث عن فوائده بالنسبة لحركة الأدب العالمي فإن هذه الدراسات المقارنة ستمكن الباحث من

[1]- الأدب المقارن د. .... دار المعرفة الجامعية 1996 (د.ط) ص 28-29.
[2]- مرجع سابق (الأدب المقارن، دطه ندا)

دراسة الظواهر الأدبية التي لم يقتصر وجودها على أدب قومي واحد بل اكتسب انتشارها صفة العالمية، فمثلا الحركة الكلاسيكية وسيطرتها على جميع الآداب الأوربية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وكذلك انتشار المذهب الرومانسي في الأدب بعد ذلك، وسيطرته على الحركات الأدبية إبان القرن التاسع عشر وانتقاله من أوروبا على القارات الأخرى.[1]

ولا شك أن محولات التقارب هذه بين الآداب المختلفة قد أوجدت من يدعون على أدب عالمي واحد، بحيث تعتبر الآداب القومية روافد تصب فيه وذلك إيمانا منهم بوحدة الفكر البشري في مجموعة وإن اختلف في جزئيات كطبيعة الأرض فغنها في سماتها العامة واحدة في كل بلاد آخر، وإن وجدت اختلافا جزئيا بين طبيعة أرض بلد وبين بلد آخر، وعلى هذا يجب أن ينظر إلى الآداب على أنها مكملة بعضها البعض الآخر، ولا غنى لأحدهما عن الآداب الأخرى.

إلى جانب رسالة الأسمى للأدب المقارن وبحوثه "فإنه قد أعطى دفعة جديدة لتطور وازدهار علوم أدبية كالنقد الأدبي الحديث وتاريخ الأدب، فالنقد الأدبي ذاته دراسة غايتها الكشف عن القيم الفنية الكامنة في الأعمال الأدبية وتفسيرها، وهذه الغاية لا يتم تحقيقها

[1]- دراسات في الأدب المقارن، بديع مجمد جمعة، دار النهضة العربية ط2 1980 ص33.

إلا إذا استطاع الناقد أن يجعل رموز هذا العمل بالكشف عن المنابع والمؤثرات التي انتقلت إلى الكاتب أو الشاعر من الآداب الأخرى".[1]

والواقع أنه لا ينبغي أن يكون ثمة عجب ولا يحزنون إذ من قال إن "الأدب المقارن" قد نشأ وهدفه التقريب بين الشعوب والأمم على أساس من روح الأخوة؟ وإن هناك فرقا كبيرا بين رغبة بعض العلماء والمفكرين في أن يؤدي الأدب المقارن إلى نشوء هذه الروح وبين استجابة النفوس البشرية التي تمارسه وتشغل (أو على الأقل تهتم به لهذه الروح، ذلك أنه كان هناك دائما وسيظل هناك دائما. فجودة بين المثال والواقع كبرت هذه الفجوة أم صغرت، فهذه هي طبيعة "الطبيعة البشرية" وعلى أية حال فهناك عوامل أخرى لـــلأدب المقارن كانت ومازالت وراء الاهتمام بهذا الفرع من فلروع البحث: منها إرضاء الفضول البشري الذي يريد أن يعرف من أين جاء هذا العنصر أو ذاك إلى ذاك الأدب أو هـــذا، وإلى أين يمكن أن يذهب بعد ذلك، ومنها أيضا الرغبة الفطرية في المقارنة بين المتشابهات والمتخالفان في أي شيئين من جنس واحد، إن لم يكن من أجل شيء فمن أجل إرضـــاء النزعة العقلية المقار نية التي لا تهدأ عن بعض الناس إلا إذا اشتغلت، ولا ترتاح إذا بقيـــت حاملة لا وظيفة لها.ثم هم، بعد هذا كله لا يمكنهم أن ينسوا قوميتهم ولا حبهم لبلادهم وشعوبهم ولا أثارهم لحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم[2] وأذواقهم وفنونهم وآدابهم، وبخاصـــة إذا كانوا ينتمون إلى أمم قوية تتطلع إلى جر الأمم الأخرى وراءها كأنها القاطرة وعرباتها،

[1]- الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، د.إبراهيم عبد الرحمن محمد، القاهرة 1976 (د.ط): ص6.
[2]- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة د.محمد عصفور ص366-367.

ولا تريد للأحد أن يخالف عن رأيها ولا أن يكون له ذوق يتميز عن ذوقه، بله يمتاز عليه، أما الكلام والتشدق به فما أسهله لكن الكلام وحده لا يجعل الأمنيات حقيقية واقعة محترمة من الجميع! وإذا كانت الطبيعة البشرية لم يستعص عليها أن تتلاعب بالدين ذاته وأن تحوله إلى أداة للتكسب والخداع والقتل والتدمير في كثير من الأحيان، فنظن أن الأدب المقارن سوف يصمد أمامها ويكون عندها أقدس وأجل وأكثر تبجيلا؟

وفي كلام "رينيه ويليك" التالي ما يؤكد ما قلته فقد ذكر أنه، وغن كان ظهور الأدب المقارن قد جاء رد فعل ضد القومية الضيقة التي ميزت الكثير من بحوث القرن التاسع عشر احتجاجا ضد الانعزالية لدى الكثير من مؤرخي الآداب الأوروبية، فضلا عن تصدر التبحر في هذا العلم من بعض العلم من بعض العلماء الذين يقعون على مفترق الطرق بين الشعوب أو على الحدود بين شعبين على الأقل أي ينتمون مثلا للأبوين من بلدين مختلفتين، فإن " هذه الرغبة طمسه وشوهته المشاعر القومية الملتهبة التي سادت في تلك الفترة وفي ذلك الموقع... أو هذا الدافع الوطني في أساسه الذي يمكن خلف العديد من دراسات الأدب المقارن في فرنسا وألماني وإيطاليا وغيرها أدى إلى نظام غريب من مسلك الدفاتر الثقافية وإلى الرغبة في تنمية مدخرات أمة الباحث عن طريق إثبات أن أمة الكاتب قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء، وفهمته أكثر من أي امة أخرى"...[1]

[1]- مرجع سابق (مفاهيم نقدية، رينيه ويليك) ص368-369.

الفصل الأول

الفصل الأول

المقارنة و الموازنة و المصطلح و المفهوم.

1.1- المقارنة و الموازنة.

1.2- المصطلح و المفهوم.

1.1. المقارنة و الموازنة:

"يمكن القول – بداية– ان فكرة"المقارنة" ،أي مقابلة النصوص في اللغات المختلفة لم تكن غائبة عن التراث العربي ، الإسلامي في عصور قوته و ازدهاره ، بخاصة في العصر العباسي ، حين اتسعت الصلات الثقافية بين العرب و غيرهم من الأمم ، و نشطت حركة الترجمة من الفارسية و اليونانية و الهندية إلى العربية ، و يكفي ان نلقي نظرة على مؤلفات ابن المقفع ، و الجاحظ ، وابن قتيبة ، و البيروني ، و غيرهم كثير ، لنرى وجودا ملموسا لتراث الأمم الأخرى إلى جانب التراث العربي الإسلامي – أحيانا – وفي قلبه في أحيان أخرى .

وفي مطلع العصر الحديث ، و مع ضغط احتكاك العرب بالحضارة الغربية – على أرضها بخاصة – كانت "المقارنة" منهجا ثابتا في كل الكتابات التي تناولت هذه الحضارة الحديثة.

و سوف نلاحظ ان "المقارنات" التي أقامها هؤلاء الكتاب قد شملت كل مجالات الحياة تقريبا : الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الخلقية ... و ان كان ما يهمنا هنا – بطبيعة الحال– هو "المقارنات " ذات الطبيعة الأدبية ، أو الثقافية العامة ، على الأقل[1].

لقد كان السؤال الملح على هؤلاء الرواد هو : ماذا ينقصنا مما عندهم و علينا ان نستكمله منهم ؟ و في محاولاتهم الإجابة عن هذا السؤال لجأوا إلى هذه المقابلات أو المقابلت – إن شئنا التعبير ! – أحيانا لا شعار القارئ بسعة المسافات التي تفصل بين ما

[1]- طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث ، د ، عصام جهنى ، دار النشر للجامعات 1996 ، ط 1 ، ص 22

عندهم و ما عندنا ، و لمحاولة تقريب المفاهيم الغربية — الغريبة — إلى هذا القارئ بالإشارة إلى ما "يمثلها" أو "يقابلها" عندنا ، في الحاضر ، أحيانا وفي الماضي ، في اغلب الأحيان ، ليصلوا إلى إحدى نتيجتين : أما المماثلة الكاملة ، و هذا قليل ، أو نادر ، أو إعلاء احد صوفي "المقارنة" على الآخر ، وهو الغالب ، وفي الأحوال كلها تزول [1]

بهذه "المقاربة" أو" المقابلة "، غربة الأجنبي الوافد ، فينتقل القارئ إلى منطقة الفهم، و ربما التعاطف ، و هذا ما عبر عنه علي مبارك في "علم الأديان " حيث يقول الشيخ لابنه :

" يا بني لكل بلاد عادة يستحسنها أهلها ، و يستقبحون ما يخالفها ، و ان كان غيرهم على عكس ذلك ... ، فما علينا من أخلاقهم [يعني : الأوربيين] و عاداتهم ، مليحة كانت أو قبيحة ، و إنما علينا إذا رأينا شيئا فيه لبلادنا مزية و منفعة ، أحصيناه و حفظناه ، حتى نجتهد في نقله إلى جهتنا ، بالتنويه به بين أهل ملتنا ، و إظهار محاسنه ، و بيان منافعه ، و ترعيب الناس فيه ، و بشرط ان يكون هذا ما التحقق من منفعة ، و بعد إمعان النظر ، و جودة التأمل ، و مراجعة أهل النظر و البصيرة فيه ، لا ببادي الرأي و النظرة الحمقاء " .

على أية حال ، فان ما يهمنا — هنا — هو الجانب الذي يركز عليه موضوعنا ، وهو "المقارنة " التي نشأت عندهم بتأثير ما اشرنا إليه من الظروف الخاصة التي كتبوا فيها و الأهداف التي توخوا تحقيقها ، من جهة ، و بتأثير ان المقارنة كانت منهجا شائعا

[1]- طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث ، د ، عصام جهنى ، دار النشر للجامعات 1996 ، ط 1 ، ص 23

– كما رأينا – منذ القرن التاسع عشر في الكتابات الغربية على اختلاف تخصصاتها العلمية ، من جهة ثانية ، وان كان "علم" الأدب المقارن لم ينشا بعد .

ولابد لنا من ان نشير – قبل التقول في التفصيلات – إلى أننا سنجد المنظورين الشائعين – اللذين اشرنا إليهما من قبل – للمقارنة ، كليهما ، موجودين في كتابات الرواد ، سواء كان " المنظور التاريخي " أي القائم على تعيين الصلة التاريخية ، و من ثم التأثير و التأثر ، بين العملين المقارن بينهما ، أو " المنظور غير التاريخي " الذي يعمد إلى لمح المتشابهات أو المتخالفات بين أدبين أو ظاهرتين من أي نوع ، دون الحاجة إلى إثبات علاقة تاريخية بينهما .

و سوف نلاحظ ان المنظور الثاني – غير التاريخي – هو الاشيع في الكتابات الأولى عند الطهطاوي و مبارك بخاصة – وان لم يغب المنظور الأول – التاريخي .[1] عن كتاباتهم ، حيث يقفان عند علاقات تاريخية لاشك فيها.

أنها كتابات ، على أية حال ، تشكل إسهاما لا يمكن إهماله في مجال رصد نشأة "المقارنة" في الدراسات العربية الحديثة ، على الأقل لما أسهمت به في تحريك الحياة الأدبية و لفتها إلى فنون و أساليب جديدة و آداب مغايرة كان الأدب العربي يتعرفها للمرة الأولى في تاريخه ، فضلا عن لفت نظر الباحثين إلى موضوعات ستصبح مجالات واسعة للمقارنة بين الآداب فيما بعد .[2]

[1]- مرجع سابق (طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث) ص 23، 24 ، 25 .
[2]- مرجع سابق (طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث) ص 25

فإذا نظرنا إليه كعلم "يدرس مواطن التلاقي بين الآداب" ، فان جهودنا ستنصب بالضرورة على حالات التأثير و التأثر بين أدب قومي و آداب قومية أخرى ، حيث نقوم باستقصاء سبل ذلك التأثير و أشكاله من خلال المصادر و النصوص و الوثائق الأدبية المختلفة ، بهدف إثباته ، و تحديد نوعه و نتائجه الفكرية و الفنية ، و هذا هو السبيل الذي يقضى إلى تبين "ماهو قومي و هو دخيل " في الأدب القومي .

أما إذا رفضنا ان نحصر الأدب المقارن في دراسة العلاقات الأدبية العالمية ، و تبنينا مفهوما لا يضع قيدا على المقارنة غير قيد الجدوى المعرفية ، تختلف الظواهر الأدبية التي نتناولها بالبحث المقارني ، و تختلف الطريقة التي نستخدمها في المقارنة ، و تختلف بالتالي النتائج التي نتوصل إليها في نهاية الأمر . و لكن في كل الأحوال فان المقارنين العرب قل ان قدموا نماذج إجرائية يمكن للمرء ان يستخدمها في ممارسته المقارنية ، و قل ان تصدوا المسالة : كيف نقارن ؟ ولعلهم عدوا هذه المسألة بديهية و غنية عن الشرح متوقعين ضمنيا ان يستخدم المقارن العربي ما توفره له علوم أدبه القومي من خبرات في مجال المقارنة ، مثل المقارنة التي عرفها النقد الأدبي العربي ، قديمه و حديثه .

أما على الصعيد التطبيقي فان معظم ما أنجزه المقارنون العرب من دراسات حتى الآن يدخل في باب بحوث التأثير و التأثر ، التي ينصب فيها الجهد العلمي .[1]

على إظهار أوجه التشابه أو التقابل أو التناظر بين أعمال أو شخصيات أدبية عربية و أخرى أجنبية ، و على محاولة جلاء تلك الظواهر عن طريق البحث التاريخي . وقد

[1]- الأدب المقارن مشكلات و آفاق : د . عبده عبود ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب (د،ط) 1999 ص 15 – 16 .

شكل هذا النوع من الأبحاث المقدمة إلى مؤثرات "الرابطة العربية للأدب المقارن " .أمـا المواضيع المحببة في دراسات التأثير و التأثر العربية فهي : تأثر

و تأثير العربية فهي : تأثر دانتي بابي العلاء المعـري ، و تـأثر الآداب الأوروبيـة بقصص ألف ليلة و ليلة ، تأثر الموشح الأندلسي في شعر التروبادور الأوربي ،

و تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الأوربية ، ومن الملاحظ ان دراسة علاقات التأثير و التأثر بين الأدبين العربي و الفارسي قد تراجعت بصورة واضحة لصالح دراسـة العلاقات الأدبية بين العرب و الأوربيين ، و لقد أبدينا في مداخلات متعددة قدمناها الى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن اعتراضا شديدا على دراسات التأثير التي تقـدم بها الزملاء ، و بينا أنها تقوم على أساس نظري هش لم يعد مقبولا ، خصوصا بعـد ان قدمت نظريتا التلقي و التنامي تفسيرا أفضل لما تطلق على التأثير و التأثر فدراسات التأثير و التأثر تقلل من أصالة الأديب المتأثر ، و تظهره في مظهر من يقلد الأدباء الأجانب ، ان لم يكن في مظهر من يمارس السرقة الأدبية ، و ذلك رغم محاولات أنصار هذا المنحـى المقارني التخفيف من ذلك الانطباع بالتأكيد على ان محور التأثير في الأدب أو الإفادة من الآداب الأخرى و هو الأصالة ، فمما لا يمكن إنكاره حقيقة ان بحوث التـأثير تعطـي الجانب المتأثر دورا سلبيا ، إذ نضعه في موقف المنفعل لا الفاعل ، طامسة بـذلك دوره الايجابي الخلاق .(٨)

٨- الآ د ب

و بالمقابل فهي تعطي الطرف الأدبي المؤثر دور الفاعل الايجابي ، رغم ان الصحيح في الواقع عكس ذلك ، فالأديب المتأثر إبداعيا هو من ينتقي العمل الأدبي الذي يتأثر به ، و هو الذي يستفيد إبداعيا من ذلك العمل بالصورة التي تلبي حاجته، لذلك فهو الذات لا الموضوع ، الفاعل لا المنفعل في عملية التأثر الإبداعي ، أو بالأصح : التلقي الخـــلاق المنتج ، كذلك فان[1] الجري وراء أوجه التناظر بين الطرف المتأثر و بين الطـــرف الأدبي المؤثر يطمس أوجه الاختلاف و التباين الموجودة بينهما ، و يحجب بالتالي أوجه التجديد و الأصالة ، و يظهر الأدب المتلقي في مظهر أدب تابع للآداب الأجنبية .

فإذا كان الأدب المتلقي هو الأدب العربي فان دراسات التأثير تنتهي إلى برهنة على تبعيته للآداب الأوروبية ، و تصب في التحليل النهائي في مصلحة " المركزية الأوروبية" . أما إذا كان الطرف المتأثر أدبا و أوربيا ، و كان الطرف المؤثر هو الأدب العربي ، كمـــا هي الحال بالنسبة لقصص ألف ليلة و ليلة و المقامة و رسالة الغفران و الشعر الأندلسي ، فان دراسة حالات التأثير و التأثر توظف لصالح نزعة التبجح القومي من خلال إظهـــار فضل العرب على الأوروبيين ، وهي نزعة واسعة الانتشار ، ايطار ها التاريخي هو الصراع بين الثقافة العربية المعرضة للتغلغل وبين الثقافة الغربية المهيمنة . و لذا فان دراسات التأثير و التأثر لا تقدم شيئا ذا قيمة معرفية كبيرة ، و لا تقدم خدمة هامة لـــلأدب العـــربي أو للثقافة العربية ، و ذلك خلافا لما يعتقده بعض المقارنين و على رأسهم الدكتور "غنيمـــي هلال . و لهذه الأسباب أيضا دعونا لان يستعيض الأدب المقارن العربي عن أبحاث التأثير

[1]- مرجع سابق(الأدب المقارن مشكلات و آفاق).ص 16 ، 17

هذه بأبحاث تستند إلى نظرية التلقي الأدبي ، و لا سيما التلقي الإبداعي المنتج ، لأنها تقوم على أساس نظري احدث و اسلم ، و لأنها تعود على الأدب و الثقافة العربيين بفائدة اكبر. إنها لمفارقة كبيرة حقا ان يتمسك قسم كبير من المقارنين العرب بمنحى التأثير و التأثر ، و ان يكرسوا جهودهم لدراسة تأثر فلان من الأدباء العرب بفلان من الأدباء الأجانب ، في وقت تخلى فيه المقارنون الأوروبيون أنفسهم عن هذا النوع من الدراسات ، وذلك بعد ان ظهرت موضع الضعف النظري ، و اتضحت الخلفيات الإيديولوجية لاتجاه التأثير و التأثر في الأدب المقارن .

و مهما يكن من أمر فان الأدب المقارن في الوطن العربي ، و يغض النظر عن المنحى الذي ينحوه ، ما زال مفتقرا إلى نماذج مقارنية ذات أسس نظرية واضحة ، و ما زال المقارنون العرب مطالبين بتقديم إجابات [1] مقنعة عن سؤال : كيف نمارس المقارنة الأدبية تطبيقا ؟ فالبحوث التطبيقية التي أنجزها المقارنون العرب حتى الآن ، مثل بحث" ليلى و المجنون في الأدبيين العربي و الفارسي " ، لا تدل على وعي كاف لأهمية تطوير نماذج مقارنية قائمة على أسس نظرية واضحة .[2]

وهاهو ذا الباحث الكوري سي ون تشانج (chang se -won) يقوم بالمقارنة بين أدبه القومي و أدبنا العربي فيقر بأنهما ، و ان تشابها في بعض النقاط ، لم تقم بينهما يوما أية صلات نظرا للبعد الجغرافي و اختلاف السياق الثقافي بين الأدبين نظرا لأنه هو

[1]- مرجع سابق(الأدب المقارن مشكلات و آفاق).ص17 ،18

[2]- مرجع سابق(الأدب المقارن مشكلات و آفاق).ص18

المنهج الذي يصلح لتلك استعمال المنهج الأمريكي في هذه المقارنة بين الأدبين نظرا لأنه هو المنهج الذي يصلح لتلك المهمة . يقول في مقال له على المشباك عنوانه : " إمكانية الدراسة المقارنة في الأدبين العربي و الكوري " ان مجال الأدب المقارن أصلا شاسع وواسع لأنه يمكن ان يتناول أدبين أو أكثر . و لعل مجال الأدب المقارن يتسع أكثر في حالة تناول أدبين ليس بينهما تأثير و تأثر . لذلك فنحن مضطرون في هذا البحث إلى اختيار منهج من مناهج الأدب المقارن نراه مناسبا للدراسة التي سنقوم بها ، و لذلك أيضا تم اختيار نماذج محددة من الأدب العربي و الأدب الكوري للتطبيق عليهما .... ان موضوع هذا البحث بالتحديد : البحث المقارن في الأدبين العربي و الكوري ، و ستجرى المقارنة بين الأدبين بمقابلتهما بعضهما و استخراج نقاط التشابه بينهما في الفترة الحديثة ، ومحاولة إثبات ان هناك شبها بين الأدبين في بعض ما يتميزان به من خصائص ، مع ان هذا التشابه بين الأدبين قديم و لا يقتصر وجوده على الفترة الحديثة و عليه يمكننا مبدئيا القول : ان الأدبين العربي و الكوري متشابهان على الرغم من أنهما صورة للآداب غير الأوروبية أولا ، و على الرغم من بعد الشقة المكانية بينهما التي يكون من المستحيل معها في تلك الفترة تأثير احد الأدبين في الآخر ثانيا . و ربما يعود ذلك إلى تجربتهما المتشابهة تحت الاستعمار في العصر الحديث .[1]

هناك اتفاق على ان مصطلح (الأدب المقارن) أصبحت له حقوقه المكتسبة على الرغم من انه غير دقيق فعلا في تعبيره عما نفعله و هناك إجماع اقل بكثير على الرغم من

[1]- موقع الكتروني 22-1-8.doc segero .hufs.ac.kr/middleeast/pdf)

انه يفوق ما كان قائما سنة 1961 ، ان (المقارن) في الأدب المقارن يجب ان ينظر إليـه باعتباره أكثر من مصادفة تاريخية و ان الإنعاش المنهجي (للمقارن) يوفر اشد الطـرق طبيعية و فعالية في تقريب النقد الأدبي و التقييم في الأدب المقارن من خلال المقارنـة ، و عن طريق المشابهة أو التقابل بين الأعمال التي تربط بينها صلة ما (ليس ضـروريا ان تكون صلة سببية) ، أي الأعمال القابلة للمقارنة بسبب القرابة الانتخابية في الموضـوع أو المشكلة أو الجنس الأدبي أو الأسلوب ، أو التزامن أو مجاراة روح العصر أو مرحلـة التطور الثقافي ....[1]

[1]- آفاق الأدب المقارن عربيا و علميا ، د. حسام الخطيب ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1992 ط 1 ص 11

1.2. الموازنة :

بعامة يمكن القول ان العلوم المرتبطة بالأدب و التاريخ ذات أصول بعيدة ، ويمكن ان يكون لها ماض عريق ، و قد جرت العادة ان تعد الأدب المقارن علما حيث النشأة ، و لكنه في الحقيقة لا يفتقد الماضي البعيد ، و يمكن البحث عن أصوله حتى في التاريخ القديم . فمنذ ان وجد أدب وجدت الموازنة بين نصوصه ، لتقييمها ، أو لمجرد حب الاستطلاع ، أو لغايات تربوية ، لان الموازنة بين الألفاظ و المعاني ، و بين المفردات و الأساليب ، مران على الفهم الصحيح ، و تربية للحاسة الفنية ، و تجئ عفوا حين يكون التشابه بينا بين بيتين غاو قصيدتين ، أو صورتين أدبيتين ، لمؤلفين مختلفين ، أو بين آداب متباينة ، طبيعي حين يقرا المرء لأبي يعقوب الخريمي قوله

أدركتني – وذاك أول داني–   بسجستان حرفة الآداب

و أن يقرأ قول أبي تمام من بعد :

إذا عنيت بشيء خلت أني قد   أدركته ادركتني حرفة الأدب

إن يستشعر هذا التشابه . و ان يضع يده عليه ، و ان يفكر فيه ، و في الأسباب التي أدت إليه ، و في التفسير الأكثر قبولا لوجوده ، و ان يحاول تقدير قيمته و معرفة أهميته [1].

[1]- مرجع سابق.

وكانت الموازنة في تلك الأيام تعتمد على الحاسة الفنية وحدها ، و قد تعرف تعليلا لما تفضله ، و يعتمد على القليل من الفروق في التراكيب و المعاني ، و قد تعرف لـــذلك سببا حكي إسحاق الموصلي قال : سألني محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقـــال : اختر احدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا ، و هما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لأمكنني التبيين ، و لكنهما تقاربا ففاضلت بينهما بشيء تشهد به الطبيعة و لا يعبر عنه اللسان .

و الطبيعة في كلام إسحاق هي ما نسميه الحاسة الفنية .

و قد يتجاوز القارئ رد الفعل الساذج ، فيمضى بالموازنة خطـــوات أوســـع ، و يحاول[1] ان يجد جوابا لسؤالين يقعان في الخاطر مع أية موازنة غير عفويـــة . أولهمـــا أي الشاعرين الأصيل ؟ . و بقليل من التأمل الهادئ يمكن ان نحكم بان السابق منـــهما هـــو مبدع الفكرة ، فهو صاحبها ، أي مالكها أدبيا بلغة العصر الحديث . و هـــو رد فعـــل طبيعي ، تلتقي فيه – ربما – إثارة الكشف مع لون من خيبة الأمل ، في العمل المتـــأثر ، كما لو كان ذلك شيئا يقلل من قيمته ، و يدعو إلى احتقاره .

غير ان الأمر ليس بمثل هذه السهولة ، فقد يبدو لنا عند الوهلة الأولى ان المتـــنبي وهو يشدونا ببيته :

و هكذا كنت في أهلي و في وطني ان النفيس غريب حيثما كانا

[1] - الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه : الطاهر أحمد مكي ، الناشر مكتبة الآداب ط1 1987 ، ص 9 - 10

قد قلد أبا تمام في قوله :

غربته العلا على كثرة الأهل فأضحى في الأقربين جنيبا

فليطل عمره فلو مات في مرو مقيما بها لمات غريبا

لكن بشيء من المواجهة نجد ان المتنبي أنقذ نفسه من شائنة التقليد ، حين التقط معنى أبي تمام و جاء به في خلق جديد ، صورة و نظما وموسيقا ، و صاغه في بيت واحد فبيت أبي الطيب ، كما يقول القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني " أجود و اسلم " و قد أساء أبو تمام يذكر الموت في المديح ، و لا حاجة به إليه ، و المعنى لا يختل بفقده ، ومن مات في بلده غريبا فهو في حياته أيضا غريب"

و السؤال الثاني يتصل بنتائج الموازنة من الوجهة الجمالية الخالصة وهو : أي العملين اصدق إحساسا و اشد توترا ، و اقدر على ان يثير فينا نفس التجربة التي مر بها الشاعر ؟ قد نصل في ذلك إلى رأي حاسم ، و قد يختلط علينا الأمر لأسباب تتصل بنا ، أو بالأديب نفسه ، فلا نستطيع ، القول بتفوق احدهما على الآخر ، و قد يتفاوت الحكم عليهما و بتغير ، تبعا لتباين الاعصر ، و تطور الأذواق و اختلاف المقاييس .[1]

وعليه يستبعد من الأدب المقارن كما يعقد من مقارنات أو موازنات بين كتاب[2] من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية كي تؤثر احدهم على الآخر أو يتأثر به ....مثل الموازنة بين الشاعر الانجليزي (ملتن) و الشاعر العربي (أبي العلاء المعري)

[1]- مرجع سابق(الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه) ، ص 10
[2]- موقع الكتروني (w.w.w.google.com)

لوجود بعض التشابه بينهما فكلاهما أعمى و لهما أراء متطرفة في المسائل الدينية ، لكن كلا الشاعرين لم تعرف احدهما الآخر و لم يتأثر به و تشابه آراؤهما و مكانتهما الاجتماعية ليس له قيمة تاريخية ان مثل هذه المقارنات ربما تكون مهمة و مفيدة لكنها لا تدخل باب الأدب المقارن لافتقادها الصلة التاريخية و الأدب المقارن بهدف للوصول إلى عرض الحقائق عن طريق تاريخي .... كيف انتقلت من لغة إلى أخرى ؟ و كيف توالدت بعضها من بعض ؟ و هل احتفظت بالصفات العامة حين انتقلت من لغة إلى أخرى ؟ و ماهي الألوان التي فقدتها أو كسبتها بهذا الانتقال .

و كذلك يخرج من الأدب المقارن كل ما يعقد من موازنات داخل الأدب القومي الواحد ، وان كانت هناك صلات تاريخية مثل الموازنة بين أبي تمام و البحتري و شوقي و حافظ[1] . في الأدب العربي و كذا الموازنة بين "كورني" corneille و"راسين" أو بين "بسكال" pascal و "مونتين" Montaigen أو بين راسين و "فولتير" في الأدب الفرنسي يتخلى عنها مؤرخ الأدب المقارن إلى مؤرخ الأدب القومي لان مثل هذه المقارنات – على أهميتها و قيمتها التاريخية أحيانا – لا تتعدى نطاق الأدب الواحد ، في حين ان ميدان الأدب المقارن دولي يربط أدبين مختلفين أو أكثر .

و مهما اعرنا من أهمية للموازنات الداخلية للأدب واحد ، فإنها اقل خصبا و أضيق مجالا و أهون فائدة من الدراسات المقارنة ، و ذلك لأنها لا تشرح إلا نمو الاستعداد و المواهب للكاتب في علاقاته مع سابقيه من أبناء أمته . و كثيرا ما يشير على وتيرة واحدة

[1]- مرجع سابق(موقع الكتروني)

و في حدود ضيقة ، كدراستنا للحريري و تأثره ببديع الزمان الهمذاني[1] ،أو كدراستنا للشعراء اللاحقين و تقليدهم الشعراء الجاهلين في الأدب العربي ، و تطورها فيه ، ثم انتقالها للأدب الفارسي و حطنها منه ، أو ندرس موضوعا كموضع "مجنون ليلى " في الأدب ، و كيف تطور في الأدب الفارسي و بعد عن ميدان الحب و العزل العذري إلى ميدان التصوف و الرمزية في الأدب الثاني ، أو ان ندرس تأثير الأدب القديم اليوناني أو اللاتيني في أدب كتاب عصره النهضة و شعرائهم ، بناء على نظريتهم في محاكاة الأقدمين ، على نحو ما سنشرح أصوله بعد قليل ، أو ندرس تأثير شكسبير في المذهب الرومانتيكي في فرنسا ؟

مثل هذه الدراسات تعد من صميم الأدب المقارن ، على حين تعد الموازنات الأولى من نطاق الأدب القومي البحث ، و بدلنا مجرد سرد الأمثلة السابقة على فضل الدراسات المقارنة على الموازنات بصفة عامة .[2]

[1]- محمد غيمي هلال ناقدا و راندا في دراسة الأدب المقارن ، دار الفكر العربي 1996 (د،ط) ص 268
[2]- مرجع سابق (محمد غيمي هلال ناقدا و راندا في دراسة الأدب المقارن)ص 268 - 269

3.1- المصطلح :

لم يكن من السهل على كل من تصدى لمهمة تقديم الأدب المقارن – وهم عديدون – الوصول إلى تعريف يجمع بين الاستيعاب و البساطة و الحسم لهذا المصطلح القديم الجديد . فإما يعمد بعضهم إلى الإيجاز المخل الذي لا يكاد يقدم شيئا يذكر ، و إما يعمد البعض الآخر إلى الاستغراق في متاهات اصطلاحية و معاضلات لغوية و تعقيدات فكرية يضل خلالها القارئ طريقه و لا تحقق الغاية التي من اجلها بذل الجهد ، و في هذه الصفحات محاولة متواضعة للتعرف على هذا المصطلح العجيب " الأدب المقارن " الذي يجمع في ان واحد بين البساطة الشديدة إذا أوجزنا تعريفه في كلمات قليلة و التعقيد الهائل إذا حاولنا الولوج إلى جوهره و تتبع مسيرته ، و في هذه المحاولة سنعمد إلى تحسس طريقنا خطوة خطوة بعقلية الدارس غير المتخصص بعيدا عن المصطلحات الغامضة و المعاضلات الكلامية و التعقيدات الفكرية .

و أولى خطوات هذا التعريف هي تقرير ما اتفق عليه الجميع ، فقد اتفقوا على ان الأدب[1] المقارن ليس نوعا مميزا من النتاجات الأدبية تقف في مقابل النتاجات الأدبية المنضورية تحت مصطلح " الأدب العربي " أو " الأدب الانجليزي " أو " الأدب الصيني " .... ، أو تقف في مقابل النتاجات الأدبية المنظوية تحت مصطلحات مثل "قصيدة " أو "مسرحية " أو " رواية"....، إنما الأدب المقارن (بفتح الواء و كسرها) هو نهج أو

[1]- مرجع سابق.

منظور معين في دراسة الأدب . و بهذا التوضيح المبدئي ينتقل الأدب المقارن من منطقة الإبداع الأدبي إلى منطقة دراسة الإبداع الأدبي . و ربما كان من الاوفق لو أننا استخدمنا مصطلح " الدراسة المقارنة للأدب " بدلا من هذا المصطلح الذي أثار كثيرا من اللبس و الجدل ، على أية حال ، سنستخدم المصطلحين في ثنايا هذه السطور بصورة تبادلية (الأدب المقارن = الدراسة المقارنة للأدب) رغم ان مصطلح الأدب المقارن و مقابلة في مختلف [1]

ويحتاج مصطلح الأدب المقارن (وهو الواقع ترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي المعروف : la littérature comparée بعض من التحليل و التوضيح و كذلك التسويغ أيضا، فالواقع (كما هو بين ظاهر) إننا منا ليسنا بصدد "أدب" بل فرع من فروع "العلم" يدرس الأدب ، فكيف إذن حدث هذا ؟ انه الاختصار ، أو إذا كان يحلولك فقل انه الخطيء الشائع الذي يقال في مثل هذه الحالة انه خير من الصواب و الصواب هو ان هذا العلم يقوم بمقارنة الآداب القومية المختلفة و الموازنة بينهما ، و معرفة ما فيها من عناصر مشتركة أو مختلفة و الأسباب المسؤولة عن ذلك ، و التعرف على صلات التي تربطها بعضها ببعض في حالة وجود مثل تلك الصلات ، و المعابر التي انتقل من خلالها عنصر أو أكثر من هذا الأدب أو ذاك إلى غيره من الآداب القومية الأخرى... إذن فنحن لسنا بصدد "أدب" بل بصدد "علم" اللهم إذا فهمنا كلمة "أدب" littérature,literature " بمعناها الواسع أي " الكتابة " ، أو قلنا ان ثمة كلمة

[1]- مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن : د. احمد شوقي رضوان ، دار العلوم العربية بيروت ، لبنان ط1، 1990 ، ص 87

محذوفة على سبيل الاختصار ، و التقدير : "دراسة الأدب المقارن "، و تـــاريخ الأدب المقارن " ، و هناك تسميات أخرى لم يكتب لها التوفيق و الانتشار مثل : "التاريخ المقارن للآداب " أو تاريخ الآداب المقارنة " أو التاريخ الأدبي المقارن ، أو "تاريخ الأدب المقارن، أو الآداب الحديثة المقارنة أو الأدب العالمي ، أو الأدب بالمقارنـــة "، أو الأدب بطريـــق المقارنة ، "وذلك رغم ما تتمتع به بعض التسميات من اختصار و دقة كمصطلح " مقارنة الأدب " (وهي التسمية التي يستعملها الاندونيسيون) ، أو " المقارنة الأدبية " .[1]

و قد اختصر الدكتور احمد كمال زكي مصطلح " الأدب المقـــارن " إلى كلمـــة واحدة فقط هي " المقارن " مستعملا النعت وحده دون المنعوت . و من يدري ؟ فقـــد تشيع مع الأيام هذه التسمية و تحل الكلمة الواحدة محل الكلمتين[2] ، لغات العـــالم قـــد أصبح سائدا أو مستقرا .

وينفق الجميع أيضا على ان الأدب المقارن هو "دراسة الأدب عبر الحدود القومية " و في هذا التعريف الموجز تكمن مشكلة الأدب المقارن و تثار التساؤلات الكثيرة حـــول طبيعة هذه الدراسة و منطلقاتها و مناهجها و موضوعاتها و اســـتقلاليتها و غايتـــها ، و للإجابة عن هذه التساؤلات واستكشاف طبيعة هذه الدراسة لابد من الرجـــوع إلى المصطلح الأم وهو "دراسة الأدب " فإذا تعرفنا على هذا المصطلح الأخير الذي هو بمثابة

[1]- الكتاب الفلسطينيون و الأدب المقارن : روحي الخالدي – ادوارد سعيد – عز الدين المناصرة – حسام الخطيب / فريال غزولي و آخرون الهيئة العامة لقصور الثقافة / سلسلة كتابات نقدية – العدد 102 ، 2000 ص 5 – 52

[2]- الأدب المقارن بين التجربة الأمريكية و العربية ، دار الفيصل الثقافية الرياض 1995 د، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، ص 114

الأصل أمكن التعرف على الأدب المقارن (: الدراسة المقارنة للأدب) بكونه فرعا منبثقا عن الدراسة الأدبية و داخلا في إطارها .[1]

على عادة الذهن و اللسان البشري اللذين يميلان في أمور الواقع العملي إلى الاختصار عند كثرة التكرار ، و بخاصة عن طريق الاستعاضة عن النعت و المنعوت معا بالنعت قائما برأسه ، أما المصطلح الانجليزي فلا يستخدم اسم المفعول : " compared " (من الفعل compare : يقارن " كما هو الحال في المصطلح الفرنسي) ، بل صفة النسب : comparative، و هو ما يمكن ترجمته بـ الأدب المقارني " الأدب التقارني " أو "أدب المقارنة " [2]

كتب مارك بلوش Marc Bloch يقول : " ان إطلاق الاسم على الشيء هو دائما حدث مهم حتى إذا كان هذا الشيء قد سبقه ، لأنه يحدد الفترة الحاسمة للوعي به ، لكن هذا لا يصدق تماما على الأدب المقارن الذي عاش على حافة الموازنات الأدبية قبل ان يتخذ اسمه ، و يعد ان أطلق عليه الاسم شهد عشرات السنين من التكوين كانت متسمة بالتذوق و خالية من الوعي الحقيقي .[3]

" ان الأزمة التي نعرفها اليوم على عكس الأزمة السابقة ، تكمن في مصطلح " الأدب " في أدب المقارن ، فقد بدأت منذ حوالي عشر سنوات (و كان من المؤكد ان الاسم قد اختلف كثيرا تبعا للإقليم أو البلد) ، حيث راحت الدراسات الثقافية تحوز

[1]- مرجع سابق (مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن ص 8) .
[2]- دراسات في الأدب المقارن / مكتبة أنجلو المصرية ، 1989 ص 12
[3]- الأدب المقارن ، كلودبيشوا اندريه م روسو ، ترجمة د، احمد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية 2001 ، ط3 ص 30 .

قصب السبق ، و بدت الظروف كما لو كانت قد انقلبت رأسا على عقب ، و ربما أمكننا ان نعد هذا من منظور واحد المجرى الطبيعي للأمور كرد فعل لنقص الاهتمام في الدراسات الثقافية و الأدبية بالمنظورات و المواقف المختلفة لكثير من الجماعات الإنسانية المتفرعة ، و انطلاقا من هذا المنظور ، فان الشعبية الحالية للدراسات الثقافية يجب النظر إليها بصفة عامة كمساعدة في موضعها .[1] لأولئك الذين يمارسون نسق الأدب المقارن ، و هذا يفترض اتجاها متزايدا للعودة إلى المعنى الأصلي للأدب " المقارن " .[2]

[1]- نحو نظرية جديدة للأدب المقارن / ج 1 د. احمد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية 2002 ط 1 ص 18

[2]- مرجع سابق (نحو نظرية جديدة للأدب المقارن / ج 1 ص 18) .

3.2-المفهوم :

وقد فصل الدكتور غنيمي هلال هذا المفهوم ، فقال :

".....انه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة ، و صلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها ، و ما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر ، أيا كانت مظاهر ذلك التأثر أو التأثير : سواء أتعلمت بالأصول الفنية العامة للأجناس و المذاهب الأدبية أم التيارات الفكرية ، أم اتصلت بطبيعة الموضوعات و المواقف و الأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب ، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية و الأفكار الجزئية في العمل الأدبي ، أم كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى بوصفها فنية تربط ما بين الشعوب و الدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور و الكتاب ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير و التأثر في أدب الرحالة من الكتاب[1]. و الحدود الفاصلة بين تلك الآداب هي اللغات فالكاتب و الشاعر ، إذا كتب كلاهما بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه البشري الذي انحدر منه ، فلغات الآداب هي ما يقصد به الأدب المقارن في دراسة التأثير و التأثر المتبادل بينهما " .

إماما لا يعد من الأدب المقارن ، وفق المفهوم الفرنسي ، فالآتي :

[1]- مرجع سابق.

1 – الموازنات بين أدباء من آداب مختلفة لم يقم بينهم أي ضرب مـــن الـــصلات التاريخية كي يؤثر احدهم في الآخر تأثيرا ما :

2 – النصوص أو الموضوعات المتصلة بالأدب و نقده لوجود بعض وجوه الـــشبه و التقارب بينهما دون ان تكون بينهما صلات هي التي أنتجت ما بينهما من تفاعل .

3 – الموازنات في نطاق الأدب القومي الواحد بقطع النظر عن الصلات التاريخية بين النصوص ، مثال هذا الموازنة بين أبي تمام و البحتري في أدبنا القديم ، و الموازنة بين احمد شوقي و حافظ إبراهيم في أدبنا المعاصر .[1]

الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث عن علاقات التماثل ، و القرابـــة ، و التأثير ، وتقريب الأدب من الأشكال المعرفية و التعبيرية الأخرى ، أو تقريب الإعمال و النصوص الأدبية من بعضها ، بعيدة كانت في الزمن أو في الفضاء ، شرط ان تنتـــسب إلى لغات متعددة أو ثقافات مختلفة ، و ان كانت جزءا من تراث واحد ، وذلك من اجل وصفها ، وفهمها ، و تذوقها بشكل أفضل .

و لم يبق لأي كان إلا ان يظم إلى هذا التعريف كل ما يبدو له منقلبا أو غامـــضا ليصل إلى مفهوم الخاص به ، ان حذف قسم من الجملة ، مثلا ، "شرط ان تنتـــسب .. ثقافات مختلفة " يحدد موقفا متطرفا للمقارنة الأمريكية (رينيه ويليك) ، و الـــتي تقبـــل بممارسة الأدب المقارن ضمن الأدب القومي الواحد ، في حين ان الأوروبيين يعتبرون ان

[1]- الأدب المقارن د. يوسف بكار – د. خليل الشيخ ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة 2008 (د،ط) ص 60 - 61

عبور الحدود اللغوية و الثقافية شرط واجب . ولكن ألن يسمح المبرر الوحيد لـــلأدب المقارن ، في النهاية بدراسة الأدب في شموليته .

تثبت التجربة ان المقارنين الأكثر تصميما على الانفراد بهذه المنطقة أو تلك ، قـــد استلموا لما يسمونه "الإغراءات " تلبية لدعوة جبرية للمنطق الداخلي ، و بالمقابل ، فان المتخصصين في أدب وطني واحد يدخلون اليوم في جدول إعمال مؤتمرات موضـــوعات كانت ترسل فيما مضى للمقارن المحترف ، هل هذا يعني ان الأدب المقارن قد ذاب شيئا فشيئا فمن مجموع الدراسات الأدبية بكل أشكالها ، ولا يمثـــل إلا مرحلـــة جدليـــة ، و محكوم عليه بالموت بعد ان يكون قد أدى دوره ؟ .

هذا ليس مستحيلا نظريا ، و لكننا نعتقد ببقاء المقارن كمختص في العموميات على الأغلب . ومن اجل ان يتحقق هذا الذوبان شيئا فشيئا فان [1] على الأدب المقارن وظيفة، في المعنى الرياضي للكلمة ، تختفي وراء الاستعمال المتقلب للأجزاء التي تؤلفها . سيجري الأدب المقارن التحول المطلوب للاستمرار في الحياة ، عندما تكتمل غدا الشروط الـــتي جعلته غامضا ، وان كان ذلك يبدو باطلا ظاهريا و مؤقتا اليوم يمكن ان نضرب الصفح عن المزايا العديدة المستخلصة من تعريف عالم و نقف عند مبدئين اثنين .

1 – اللغة التي كتب بها أدب ما ، أو الوحدة الروحية للجماعة الـــتي تنطـــق بهـــا (متعلقة بحدود سياسية ، و بماض وطني ، وبدين ، و بشعب ، و بجنس .....) و تقـــسم

[1]- ما الأدب المقارن ، بيروبدونيل كلودبيتشوا ، اندريه ميشل روسوا منشورات دار علاء الدين ، ترجمة د. غسان السيد دمشق 1996 ط 1 . ص 172 - 173

الأدب بصورة طبيعية إلى وحدات محددة ، و على المقارن ان يجتهد لكي لا يدرس هذه الوحدات بصورة منفصلة إذا أراد وضع نفسه فوق هذه القيود .

2- الأدب هو إحدى الظواهر النوعية للنشاط الروحي للإنسان في المستوى نفسه ، للدين، و الفن ، و النشاط السياسي و الاجتماعي ،الخ . لذلك يمكن دراسته كوظيفة أساسية بصرف النظر عن الزمان أو المكان .

أما وقد فرض ذلك ،فإننا نستطيع ان نقدم تعريفا أكثر إيجازا يمكن ان يصرف في فهرس :

الأدب المقارن : وصف تحليلي ، و مقارنة منهجية و تفاضلية ، و تفسير مركب لظواهر أدبية بين اللغات أو الثقافات ، من خلال التاريخ و النقد و الفلسفة ، من اجل الوصل إلى فهم جيد للأدب بوصفه وظيفة نوعية للروح الإنسانية .[1]

فهو في إيجاز دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغير من الآداب كيف اتصل هذا الأدب بذاك الأدب ، و كيف اثر كل منها في الآخر .

ماذا اخذ هذا الأدب و ماذا أعطى ، و على هذا فالدراسة في الأدب المقارن[2] تصف انتقالا من أدب إلى أدب ، قد يكون هذا الانتقال في الألفاظ اللغوية أو في الموضوعات أو في الصور التي يعرض فيها الأديب موضوعاته أو الإشكال الفنية التي يتخذها وسيلة للتعبير كالقصيدة أو القطعة أو الرباعي أو المزدوج أو القصة أو المسرحية أو المقالة ....، و قد

---

[1]- مرجع سابق (ما الأدب المقارن ، بيروبدونيل كلوديبيتشوا ، اندريه ميشل) ص 173
[2]- الأدب المقارن،دطه ندا ، دار المعرفة الجامعية بيروت 1985 ط 2 ، ص 20

يكون الانتقال في العواطف أو الأحاسيس التي تسري من أديب إلى أديب آخـــر حـــول موضوع إنساني واحد اثر في عواطف الأول فتأثر الثاني بنفس هذه العواطف و قد يكون الانتقال في رأي معين رآه أديب من الأدباء فقلده و جرى عليه أدباء آخـــرون في آداب أخرى .[1]

لذلك قررت ان استعرض التعريف المختلف التي أوردته الشرح حتى يستطيع طلاب الدراسات العليا في قسم اللغة العربية انتقاء ما يروقهم منها ، و الوصـــول إلى صـــيغة يرتدونها تتمتع بصفتي الجمع و المنع ، و لكن سرعان ما ان تبينت ان مادتنا هذه ليست من تلك المواد التي تحتمل لأول وهلة التحديد التجريدي ، فهي كالمواجان في البحـــر يتكون من عناصر تجتمع فتنقسم ، و تجتمع من جديد و تتشكل بفعل التيارات و الأمواج حسب مقتضيات المصادفة في أعماق البحار ، فحسبي إذا ان انوه لطلبتي عن الموضوعات المختلفة التي تدخل في حيز الأدب المقارن بدون ذكر ما لا يتضمنه ، و ذلك خوفا مـــن يوم تتغير فيه المعايير الفنية و العلمية ونجد أنفسنا أمام عنصر جديد لم يكن في حـــسباننا من قبل .

فبدأت إذا بذكر ماهو متفق عليه من بحث التأثير و التأثر بين الآداب و المـــذاهب الأدبية و الأدباء أنفسهم ، و حاولت ان أتبين ، و لو بالتقريب ، أسس تلـــك التجـــارة المجردة بين الشعوب التي تروج فيها سلعة دون غيرها من السلع الأدبية [2] للأدب المقـــارن

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن،دطه ندا)

[2]- ينظر الأدب المقارن ، مجدي و هيب ، شركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان 1991 ط 1 ص 8.

مفهوم حديث به صار علما من علوم الأدب الحديث و أخطرها شانا و أعظمها جدوى

.

مدلول " الأدب المقارن " تاريخي ، ذلك انه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة ، و صلاتها الكثيرة المعقدة . في حاضرها أو في ماضيها ، و ما لهذه الصلات التاريخية من تأثير و تأثر ، أيا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر :

سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس و المذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية ، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات و المواقف و الأشخاص التي تعالج أو تحاكى في الأدب ، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية و الأفكار الجزئية في العمل الأدبي ، أو كانت خاصة بصورة البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى ، بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب و الدول بروابط إنسانية تختلف الصور و الكاتب ، ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير و التأثر في أدب الرحالة من الكتاب .

و الحدود الفاصلة بين تلك الآداب هي اللغات ، فالكاتب أو الشاعر إذا كتب كلاهما بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه البشري الذي انحدر منه ، فلغات الأدب هي ما يعتد به الأدب المقارن في دراسة التأثير و التأثر المتبادلين بينهما .[1]

[1]- مرجع سابق(محمد غيمي هلال)

و الأدب المقارن يمكن ان يعرف بأنه : العلم الذي يبحث عن التـــأثير و التـــأثر في الأدب على جميع المستويات ، سواء أكان ذلك بين كاتب و كاتب أم بين تيار فكـــري و تيار فكري آخر ،كما انه يبحث في انتقال الأنواع الأدبية من امة إلى امة ، و في الأخذ و العطاء بين الشعوب على مختلف مراحل نموها [1]

[1]- الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ، سلوم داود ، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع 2003 ط 1 ص 11

الفصل الثاني

الفصل الثاني

مدارس الأدب المقارن

2.1–مدارس الأدب المقارن الأجنبية.

2.2– مدارس الأدب المقارن العربية.

مدارس الأدب المقارن الأجنبية:

3-1- المدرسة التاريخية: (المدرسة الفرنسية)

شغلت هذه المرحلة القرن التاسع عشر كله وامتدت إلى قسم كبير من القرن العشرين، وطوال مدة الفترة سيطرت النظرة التاريخية على دارسي الأدب، ونبغ الفرنسيون خاصة في تحقيق هذا التناول التاريخي حتى ارتبط هذا المنظور بهم، وأصبح يعرف تجاوزا باسم **المدرسة الفرنسية** في الدرس الأدبي، ومن خلال المنظور التاريخي يرى دارسوا الأدب الأعمال الأدبية في صورة أعمال منتظمة في نسق تاريخي، ويطبقون مقولات التأريخ (بهمزة القطع) وفلسفته ومناهجه في دراساتهم، وتبدأ هذه المقولات بمقولة النسبة الزمنية والمكانية، فلكل زمان ومكان تقاليد وذوق ومعايير وأعراف ونظم سياسية واقتصادية وتجارب حياتية خاصة. وهذا كله متغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر[1]. ولكي تستوعب العمل الأدبي. ونستمتع بقراءته، ونحكم على قيمته الفنية من الرجوع به إلى فضائه ألزماني والمكاني، لا نفسره أو نحكم عليه بأعين عصرنا الحاضر وتجاربنا المعاشة الآن، وإنما نراه من خلال أعين معاصره ومن خلال فهمهم له وحكمهم عليهن فلقد توجه الشاعر بخطابه الأدبي إليهم في المقام الأول، و لم يكن ينظر إلى زمان آخر أو مكان آخر عندما نظم قصيدته، فزهير بن أبي سلمى توجه بمعلقته الشهيرة إلى قبيلتي عبس وذبيان وتحدث عن الحرب الطاحنة التي كانت قائمة بينهما وأتت على الزرع والضرع، وكان

[1]- مدخل إلى الدرس المقارن، د.أحمد شوقي رضوان، دار العلوم العربية بيروت لبنان 1990 ط$_1$ ص8،9.

طرفه يوجه خطابه الشعري-معلقته مثلا- إلى قومه في ظل ظروف وقيم وتقاليد معينة كانت سائدة بينهم وتحكم علاقاتهم القبلية. وتوجه أبو تمام بقصيدته — فتح عمورية- إلى معاصريه المسلمين في انتصارهم على جيش الروم. وهكذا الأمر مع كل عمل أدبي. وهنا تكون مهمة دارس الأدب "البحث والتنقيب" في زوايا التاريخ عن كل ما أحاط بالعمل الأدبي وتلقى الضوء على رموزه، وتعطينا صورة عن كيفية تلقي المعاصرين وتقويمهم له[1]

على أن دراسة الآداب دراسة مقارنة يجب عند المدرسة الفرنسية أن تتوفر لها الأسس الآتية:

أولا: أن يكون هناك اختلاف في اللغات بين هذه الآداب فليس من دراسات الداب المقارن عندهم أية دراسة تقارن بين الأدب الإنجليزي والأدب الأمريكي، مادامت اللغة واحدة في هذين الأدبين، وليس من الأدب المقارن دراسة الأدب الفرنسي مقارنا بما ينتجه بعض مواطني كندا من أدب باللغة الفرنسية.

ويختلف الدارسون الأمريكيون مع الفرنسيين حول هذه المسألة وطبيعي ألا يعتبر الأمريكيون أدبهم مجرد امتداد للأدب الانجليزي. ومن هنا كان للأمريكيين موقف من هذا الموضوع بني على أساس أن الأدب المقارن يهتم بدراسة الأدب في صلاته التي تتعدى

1- مرجع سابق.

حدوده القومية. فالقومية وليست اللغة هي التي تحدد نوع الأدب. وعلى هـذا تكـون دراسة الدبين الإنجليزي والأمريكي دراسة مقارنة مما يدخل ضمن نطاق الأدب المقارن.

وربما يتوقفون مترددين إزاء صلة أدبهم بالأدب الإنجليزي إبـان فتـرة الاحـتلال لأمريكي، فلا يصرون على الفصل بين الأدبين خلال هذه الحقبة. أما عصور الاسـتقلال فهي عندهم عصور تطور فيها الأدب الأمريكي وأصبح منفصلا عن الأدب الانجليـزي، وهذه المسألة لا نستطيع أن نسلم بها من كافة الوجوه، فما الاستقلال الـسياسي الـذي يكون أساسا لاختلاف الآداب؟ وهل نعتبر الكيانات السياسية المنفصلة للدول العربية مثلا مصدرا لخلافات جوهرية بين آداب العرب في مختلف الدول العربية؟ هـل نعتـبر مـن موضوعات الأدب المقارن أية دراسة توازن بين الشعر العربي الحديث في مصر والـشعر العربي الحديث في لبنان؟

الواقع أن الحدود السياسية لا يمكن أن تكون اعتبارا كافيا للقول بخلافات جوهرية بين الآداب، تجعل منها آدابا مختلفة تدري دراسة [1] توازن بين الشعر العربي الحـديث في مصر والشعر العربي الحديث في لبنان؟.

الواقع أن الحدود السياسية لا يمكن أن تكون اعتبارا كافيا للقول بخلافات جوهرية بين الآداب ، تجعل منها آدابا مختلفة، تدرس دراسة مقارنة كما هو الحـال بـين الآداب

[1]- في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، د. محمد عبد السلام كفافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1981، ط1. ص23-24.

المختلفة اللغات، إنني أميل غلى اعتبار مدارس الشعر في الأقطار العربية المختلفة، مـــدارس متعددة لأدب واحد، تدرس ضمن نطاق هذا الأدب، ولا تعد من مباحث الأدب المقارن.

وهكذا الحال بالنسبة لأدبنا العربي في عصوره السالفة، فالمقارنة بين الأدب العربي في بغداد والأدب العربي في الأندلس ليست من الدراسات التي تدخل ضمن نطاق في الأدب المقارن إنها دراسات لأدب واحد في بيئاته المختلفة، وليست مقارنة بين أدبين مختلفين.

ولعل وجهة النظر الأمريكية في اعتبار الأدب الأمريكي أدبا منفـــصلا عـــن الأدب الانجليزي تستند إلى اعتبارات أخرى إلى جانب الحدود القومية[1].

ومن هذه الاعتبارات أن سكان الولايات المتحدة لا ينتمون في أصلهم إلى شـــعب واحد، بل هم مهاجرون يرجعون غلى مختلف شعوب العالم، وهذا التنوع كان أساســا وباعثا لخلق أدب جديد، يختلف عن الأدب الانجليزي، وإن شاركه في اللغة بقدر كبير.

ثانيا: أن يكون الأدبان اللذان نقارن بينهما قد قامت بينهما صلة تاريخيـــة وتهـــتم المدرسة الفرنسية بتحقيق الصلة التاريخية بين الأدبين قبل أن نخض في تفصيلات الدراســة المقارنة، أما إن لم تقم الأدلة أو القرائن على اتصال الأدبين، فليس هناك مجـــل للدراســة المقارنة، ومعنى ذلك أن المدرسة الفرنسية ترى أن الهدف من الدراسة المقارنة هو الكشف

[1]- مرجع سابق.

عن ميادين التأثير والتأثر، أما دراسة الفنون المتناظرة في الآداب المختلفة التي لم يحدث بينهما لقاء تاريخي فلا ترى المدرسة الفرنسية لذلك [1]

كبير فائدة. لكننا نخالف رأي هذه المدرسة في هذا الاتجاه فدراسة الفنون المتناظرة في الآداب المختلفة تكشف عن ألوان ممتعة من المعارف، لا نرى مبررا لإخراجها من نطاق الأدب المقارن، ومن أمثلة ذلك دراسة فن الملاحم عند اليونان والفرس والمفود، فمثل هذه الدراسة إن أمكن تحقيقها- تكشف بأسلوب المقارنة عن طبيعة هذا الفن الشعري في آداب مختلفة، مما قد يعاون على تحقيق تفهم أوسع وأشمل لمدلولاته الإنسانية. ومما يفترض به على المثل هذا البحث أنه يفوق طباقة الدارس مهما أوتي من علم وعرفان، فأين الباحث الذي يستطيع أن يحيط بكل هذه الآداب.

ويتعمق دراسة كل منها، ثم يقوم بعد ذلك بدراسته المقارنة لكن الجهود التعاونية التي تتمثل في الأعمال الموسوعية تقدم حلا لمثل هذا الموقف العسر، فهناك ألوان من الدراسات تقوم على مجموعة من العلماء المتعاونين، وتقدم حلا لما يعجز عن تحقيقه فرد واحد. [2]

---

[1]- مرجع سابق (في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي) ص24-25.
[2]- مرجع سابق (في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي) ص25-26.

3.2. المدرسة النقدية: (المدرسة الأمريكية)

المدرسة النقدية المسماة بالأمريكية في الأدب المقارن إنها توالي ظاهرة التأثير والتأثر كبير اهتمام، بل تدعوا لدراسة الأدب دراسة نقدية دون التقيد بالحدود اللغوية والثقافية للآداب، وهي تنطلق في ذلك من حقيقة أن الظواهر الأدبية الكبرى[1]، كالأجناس والتيارات الأدبية، لا تنحصر في أدب قومي واحد، بل تتحداه إلى آداب مختلفة، وقد تكون عالمية الامتداد، ومع أن لهذا التوجه الذي يراعي البعدين الجمالي وفوق القومي للظواهر الأدبية ما يسوغه، فإنه ينطوي على إشكالية تتمثل في أنه يقفز من فوق الطابع القومي للآداب، وهذا يحمل في طياته خطر الفقر من فوق التناقضات السائدة في العلاقات الأدبية الدولية، فهو بذلك يمكن أن يخدم، وإن بصورة غير مقصودة، سعي بعض المجتمعات لبسط سيطرتها الثقافية والأدبية على العالم، مستفيدة في ذلك من عالمية لغاتها، ومن قوتها الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية، ولئن كانت المدرسة النقدية أو الأمريكية في الأدب المقارن قد حددت الفروق بين مفهومين " الأدب العام" والدب العالمي" فإنها لم تتحر من المركزية الأوربية –الأمريكية التي صبغت مفهوم الأدب العالمي الذي تبنته هذه المدرسة، فالمشكلة لا تكمن في ترسيم الحدود بين المفهومات بقدر ما تكمن في صياغة

[1]- مرجع سابق.

مفهوم "أدب عالمي" يكون عالميا بالفعل، وليس ستارا تمارس خلفه مركزية أوربية وغربية بعيدة كل البعد عن العالمية الحقة. [1]

أما المدرسة الأمريكية فإنها لا تلزم بهذا الشرط الصارم ولا بضرورة وجود الـــربط التاريخية، وفي نظرها أن مجرد تشابه في الأنماط الأدبية أو الموضوعات أو الأفكار بين أدبين مختلفين أو بين مجموعة من الآداب المختلفة هو دافع قوي إلى قيام دراسات مقارنة تنتهج نهج النقد الجمالي في تقويم الإبداع الفني وتفتح بالمناسبة آفاق فكرية وفنية [2] مشتركة قـــد تصلح لخلق علاقات جديدة بين الأمم التي يجنبها بناء مجتمع عالمي على أسس الاتـــصال، والتقارب، والتعاون والتكامل.

وبفضل هذا التوجه الجديد اتسع ميدان الدب المقارن وأصبح من الممكن جد إجراء مقارنات بين الأدب وسائر الفنون الجميلة كالرسم، والموسيقى والنحت، وإذا كان "سو بري" قد تطرق منذ 1810 إلى العلاقات الموجودة بين الرسم والدب في دراسته المعنوية، دروس في الرسم والأدب المقارنين، فإن الدراسات اللاحقة تأخرت كثيرا كالتي عالج فيها فرنسيس كلود ون" تأثير الموسيقى في بعض الرومانسيين ولا سيما ستا نـــدال (1979) ومرد ذلك غلى الصعوبة التي يلقاها المقارن المتخصص في الآداب والمدعو، دونـــا العـــام

---

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص83-84.
[2]- محاضرات في الأدب المقارن، زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر 1992، (د ط) ص60.

كاف بتاريخ الفنون وعلم الجمال، إلى مقارنة أعمال الفنانين والأدباء في دراسة واحدة منطلقها الذوق ومبتغاها الوصول إلى الجمال.

ومما يلاحظ على المدرسة الأمريكية أنها أرادت أن تجعل من الدب المقارن كل شيء حين أوكلت إليه مهمة مقارنة ما هب ودب، فعقد بتجاوز حدود اختصاصه الطبيعي، جوهره وصار عبارة عن لا شيء وكان من لأوفق له ألا يشتت مجهوده، وأن يواجه اهتمامه كله غلى مسائل التأثير المشعبة التي تفني في معالجتها الأعمال وتشغل بها أجيال المقارنين على مدى الأعمار [1] ومن ثم، يفرد هذا المفهوم للأدب المقارن مساحة أوسع لا لما يسبق النص الأدبي أو يحيط به ويلحقه من ظروف "خارجية" بل للممارسة النقدية – القائمة على التحليل والتفسير التقويم- التي في مقدورها –وحدها- أن تبرز خصوصية الكيان الذاتي المتفرد لكل عمل أدبي، وتميزه كما يفتح هذا المفهوم الباب واسعا أمام مقارنة أعمال أدبية في لغات مختلفة، دون أن [2] يشترط قيام علاقات سببية من التأثير والتأثر، فالأدب المقارن- بهذا المفهوم- يعمل من خلال " منظور عالمي يسعى نحو مثال بعيد المنال. قوامه التاريخ والبحث الأدبيان الشاملان" ،دون أن يتجاهل – بطبيعة الحال " التقاليد القومية المختلفة وحيويتها، ولا يقلل من أهميتها" أكثر من هذا أنه يفتح الباب

1- مرجع سابق (محاضرات في الأدب المقارن) ص59-60.
2- مرجع سابق (طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث) ص17.

واسعا، كذلك لمقارنة الأدب بغيره من الأشكال الفنية، من حيث تشكل جميعا تجليـــات للإبداع الإنساني كثيرا ما يتداخل في العقول الإنسانية المبدعة. [1]

[1]- مرجع سابق (طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث) ص17-18.

3.3- المدرسة الماركسية:

ظهرت في ألماني في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حركت نادت "الأدب المقارن" حيث تتجمع الآداب المختلفة كلها في أدب عالمي واحد يبدو وكأنه نهر يرفده كل الآداب القومية بأسمى ما لديه من نتاج إبداعي وقيم إنسانية وفنية، وكان زعيم هذا الاتجاه الشاعر الأماني "جوته" (1749-1832م) الذي عد نفسه نموذجا تتجمع فيه صفة العالمية، فلقد كان مطلعا على الآداب الأوربية[1] متمثلا قيمها واتجاهاتها، ومد بصره إلى خارج الحدود الأوربية الضيقة المضطربة فوجد في الآداب الشرقية الإسلامية عاملا رحبا لانهائيا من الطهور الطمأنينة بداله وكأنه قبس من نور النبوة، كما وجد منبعا صافيا من الإبداع والإلهام المتجدد عبر عنه بوضوح في ديوان سماه "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي " كتب في مقدمته: "هذه باقة من القصائد يرسلها الغرب إلى الشرق ويتبين من هذا الديوان أن الغرب قد ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر الشرق "ولقد استطاع "جوته" بثقافته العميقة الواسعة ومكانته البارزة وقدرته الفذة على الإبداع أن يجعل فكرة التواصل بين الآداب الأوربية خاصة، والآداب كلها بعامة، تستقر في الأذهان وتصبح من الأمور المسلمة التي تقبل الجدل على الرغم من

1- مرجع سابق.

طغيان العصبية القومية في أروبا.... وهكذا بدت دعوة "الأدب العالمي" وكأنها كانت بمثابة تمهيد طبيعي لنشوء فكرة " الأدب المقارن" [1]

وفي مرحلة لاحقة تبلورت نظرية أدب ماركسية، أي مادية تاريخية جدلية، وظهرت في الأدب المقارن اتجاه يستند إلى تلك النظرية، إن أبرز أعلام ذلك الاتجاه هو المقارن الروسي فيكتور رجيرمونسكي الذي أنجز دراسات مهمة حول التشابهات النمطية آو التيبولوجية بين [2] الآداب.

نظر الدب المقارن الماركسي إلى الأدب من منظرو أممي، أي عالمي، دون أن ينكر خصوصية كل أدب من الآداب القومية، غلا أنه رأى أن الآداب تمر بمراحل تطور نفسها، وذلك لتطور الاقتصادية والاجتماعية (التي التحية) التي تعكسها، ومع إقرارنا بأهمية المنطلق العالمي للأدب المقارن الماركسي، فإننا نرى ان مقولته الرئيسية هذه لا تساعد كثيرا في فهم إشكالية عالمية الأدب والبني المتناقضة للعلاقات الأدبية الدولية، فتركيزه على دور البناء التحتي "يعلل من قدرتنا على تفسير ظاهرة ازدهار آداب مجتمعات متأخرة، كآداب أمريكا الجنوبية، التي تمكنت من احتلال موقع تميز على خريطة الأدب العالمي المعاصر، رغم تخلف مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات التي تعكسها، أما ما يساعدنا في فهم إشكالية الأدب العالمي والعلاقات الدولية فهي مقولة جير منسكي التي

---

[1]- الدب المقارن –دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، د. محمد السعيد جمال الدين، دار الاتحاد للطباعة 1996، ط2 ص7-11.

[2]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص83.

ترى أن عملية الاستيراد الثقافي والأدبي، التي أطلق عليها المقارنون التقليديون الفرنسيون تسمية ظواهر التأثير والتأثر، تخضع لحاجات الطرف المستورد أكثر مما تخضع لحاجات الطرف المصدر إن هذه المقولة التي تنسجم مع نظرية التلقي الأدبي المعاصرة، تصلح لتفسير كثير من الظواهر المتناقضة التي تجعل بها العلاقات الأدبية الدولية، وتضع حدا الأوهام الهيمنة الأدبية والغزو الثقافي [1]

ويصعب علينا أن نميز خصوصية أو فرادة فيما يدعى بالمدرسة الاشتراكية في الدب المقارن لن هذه المدرسة —إن جازت أن نسميها كذلك- قد تقترب من رؤية المدرسة الفرنسية في بعض منطلقاها وربما اقتربت من المدرسة الأمريكية في منطلقات أخرى لهان يبد أن الخط العام لها بتقييد بدراسة **"الأسس الاجتماعية والاقتصادية والأسس الطبقية وتاريخ الحضارة لتجعل من ذلك كله إطارا للظاهرة الأدبية التي تدرسها" ولا نفاجأ بمنطلقات هذا المدرسة فهي معروفة ولسنا بصدد اختفاء هذه المدرسة [2] بعد الهيار الكتلة الاشتراكية الأوربية بيد أن الاستنتاج المهم المستقى من طبيعة هذه الرؤية للأدب المقارن هو أن مفهوم الأدب المقارن يتأثر بالضرورة بالمنطلقات الفكرية والسياسية السائدة، وهو استنتاج قد يقترب من البديهيات والمسلمات".**

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص83.
[2]- الأدب المقارن، مقدمة نقدية، سوزان باسنيت، أميرة حسن نويرة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1999 (د ط) ص6.

وكان الأديب الألماني الفذ جوته قد تبنى مصطلح الأدب العـــالمي أو أدب العـــالم مؤسس لوجهة النظر الألمانية وجذور الدب المقارن لديهم "وحين أصبحت الدراســـات المقارنة تأخذ طابعا خاصا تبنوا مصطلح علم الأدب المقـــارن وهـــم يركـــزون علـــى موضوعات الموروث الشعبي ونظرية الحقب الأدبية وحاولوا التمايز بهذه الدراســـات عـــن المنهج الفرنسي، ونلاحظ انفتاحا عالمي ألمانيا وخاصة على الآداب من قبل الكلاسيكيين الأمان تأثير مصطلح جوته. [1]

[1]- المرجع سابق (الأدب المقارن- مقدمة نقدية).

3.2/ مدارس الأدب المقارن العربية:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشرة ظهرت في الوطن العربي محاولات، يمكـــن إدخالها فمن البدايات الأولى للأدب المقارن، وقد تزامنت هذه المحاولات مـــع بـــدايات النهضة العربية، وارتبطت بمرحلة الإيقاظ في جميع مجالات الحياة ومنها الأدب، وما يؤكد هذا أن رواد النهضة العربية هم أصحاب البدايات الأولى للأدب المقارن في الوطن العربي. وسنرى أن التفكير النهضوي لدى أدبائنا ونقادنا في تلك المرحلة والمراحـــل اللاحقـــة، سيترك أثرا واضحا في توجيه الدراسات المقارنة للإسهام في تحقيق نهضة أدبية من خـــلال الانفتاح على الآداب الأخرى، والإفادة من جوانبها الإيجابية، ولذا كانت البدايات الأولى تركز على دراسة التشابه والاختلاف، فاكتفاء الرواد في هذه المرحلة –كما هو الحال في الاتجاه الفرنسي– بدراسة التأثير والتأثر، من منطلق إثبات فضل أدب قـــومي علـــى أدب قومي آخر لا يلبي متطلبات سياقهم الثقافي، مما دفعهم إلى عدم الالتزام بما وضعه المقـــارن الفرنسي، فقد درس المقارنون العرب تلك المرحلة التشابهات والاختلافـــات بـــين الأدب العربي والآداب الغربية الحديثة، قبل ظهور الاتجاه الأمريكي، وكيفوا دراسة التأثير والتأثر لتلاءم مع التوجيه ألنهوضي في الوطن العربي. [1]

[1]- الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته، د. حيدر محمود غيلان، ص117-118.

فالأدب المقارن في الوطن العربي لم يكن لهم اتجاه يدرسون بـــه الأدب المقـــارن في مقارناتهم بل سلكوا نهج المنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية مع تعديل للمنـــهج النقـــدي للمدرسة الأمريكية [1]

وكانت محاولات بعض المؤلفين في تناولهم إلى جانب التأثير والتـــأثر إلى جانـــب التشابه والتوازي بين عدد من الآداب.

ومن ذلك نستنتج أن العديد من المؤلفين والرواد للأدب المقارن في الأدب العـــربي سلكوا منهج التاريخي (المدرسة الفرنسية) ويتأكد لنا انتماء الدكتور **محمد غنيمي هـــلال** إلى المدرسة الفرنسية من خلال توكيده على الجذر التاريخي للأدب المقارن وعبر تعريفه له بأنه " ذو مدلول تاريخي، ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتهـــا المختلفـــة وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها، وما هذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أيا كانت مظاهر ذلك التأثر أو التأثير[2]

أما الاتجاه الثاني في الدرس الأدبي المقارن، كما تتبناه المدرسة العربية، هو الاتجـــاه الماضوي ، الذي يبحث عن علائق الخاص بالعام، في الآداب الإيرانية واليونانية ، والتركيز على عناصر التشابه والتأثيرات والأصداء من خلال إنتاجيات، بعض الأعـــلام الأدبيـــة الكلاسيكية كالجاحظ وابن المقفع، وحازم القرطاجي، وترجمات كتاب الشعر لأرسطو،

---

[1] ينظر الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته.
[2] - مرجع سابق (الأدب المقارن –غنيمي هلال)

وألف ليلة وليلة، وقد فاق إنتاج هذا الاتجاه جميع التوجهات، المكونة للمدرسة العربية، بل يمكن القول بأن تسمية المدرسة العربية جاءتها من معالجات هذا الاتجاه الذي أجهد نفسه واسترقته أحداث الموازنات والمشابهات والمؤثرات، للحد الذي ظفت فيه على الـــدرس، واختزلته في توجهها واتجاهها، ونقد هنا الطاهر المكي، نموذجا لهاته الدراسات، حيث نجد في طريقه فهمه وتقديمه نمطية أغلب الدراسات المقارنة العربية، واعتمادنا علـــى الطـــاهر المكي، لا يقوم على أهميته أو ضعفه، بل انطلاقا من اختباره للجاحظ كمثيل للمقارنـــة العربية كما اختار اللسانين الجرجاني ممثلا للسانيات العربية [1]

[1]- مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية سعيد علوش، الناشر: المركز الثقافي العربي 1987ن ط1، ص183.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

أدباء المقارنون الغرب و العرب

3.1-المقارنون الغرب.

3.2-المقارنون العرب.

3.1. أدباء العرب المقارنون:

أ- محمد غنيمي هلال:

كان الدكتور محمد غنيمي هلال الذي يعد بحق مؤسس الأدب المقارن الأكـــاديمي العربي، أول من تطرق إلى هذه المسألة بصورة تفصيلية منهجية [1]

" ومساهمة الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن إضـــافة رائـــدة في ميدان الأدب المقارن العربي، وهي خطورة نادرة في حينها لا سيما لأن الدكتور "هلال" تمثل أدب أمته العربية واستوعب أسراره وحين ذهب إلى فرنسا دارسا وضع يـــده علـــى محاور أساسية وفيما يتعلق بهذا التخصص المهم وأعني به الأدب المقارن وعلى الرغم مـــن مرور أكثر من نصف قرن على مضفه المهم في الأدب المقارن فإن غزارة ما ورد فيه مـــن موضوعات تصلح مادة للأدب المقارن ما تزال ركيزة مهمة للدراسة المقارنة اللاحقة". [2]

وله العديد من المؤلفات نذكر من بينها: الأدب المقـــارن، دور الأدب المقـــارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، الموقف الأدبي النقد الأدبي.

ب –فؤاد المرعي:

ومن المقارنين العرب الذين تصدوا المسألة عالمية الأدب الدكتور فؤاد المرعي، وذلك في بحث قدمه عام 1986 إلى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن فقـــد انطلـــق

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص88.
[2]- مرجع سابق (في الأدب المقارن) ص24.

الدكتور المرعي في بحثه المذكور من مقولات نظرية الأدب الماركسية المعروفة، كارتباط لا تطور الأدب بتطور المجتمع، ومرحلية ذلك التطور وعدم تزامنية، ووحدة قوانين العلمية الأدبية بوصفها جزء من العملية الاجتماعية التاريخية العالمية. [1]

جـ سعيد علوش:

" ومن المقارنين العرب اللذين انتقد والنزعة المركزي الأوربية في التعامل مع قضايا الأدب العالمي المقارن المغربي الدكتور "سعيد علوش" ، ويمضي الدكتور "علوش" في نقده لتاريخ الأدب العالمي في الغرب.

يدعوا الدكتور سعيد علوش إلى سوسيولوجي للأدب العالمي، فهي قادرة على تفسر لنا حقيقة أن انتساب أدب إلى حضارة مهيمنة يساعد في اقتحام هذا الأدب المستوى العالمي" [2]

والدكتور علوش هو أستاذ الأدب المقارن في قسم اللغة العربية بجامعة الرباط، وهو إضافة لكونه مقارنا ناقدا وكاتب وطني ديمقراطي تقدمي، وقد برز اسمه كمقارن من خلال عدة كتب أمد بها المكتبة المقار نية العربية، نذكر منها دراسته الضخمة مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي. [3]

[1]- مرجع نفسه (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص90.
[2]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص93-94.
[3]- اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي، سعيد علوش، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء- 1989، (د ط) ص23.

من مؤلفاته: مدارس الأدب المقارن —دراسة منهجية، التيارات الأدبية في العالم العربي، التأثير والتأثر في المقارنات العربية [1]

د- عز الدين المناصرة:

المقارن والشاعر الفلسطيني الدكتور عز الدين المناصرة، قد ركز عرضه على بدايات ظهور النظرة المقار نية في النقد العربي الحديث وأبرزه دور الناقد الفلسطيني روحي ألخالدي على هذا الصعيد [2]

وينظر المقارن والشاعر الفلسطيني غلى عالمية الدب ضمن إطار آخر، وهو عملية المثاقفة التي تشكل في رأيه ط أساس عالمية التحديث الأدبي" وقد اتخذ الدكتور المناصرة في حديثه عن المثاقفة موقفا انتقاديا متحفظا منها، لأنها تحمل في داخلها مخاطر التقريب وفرض في سياقها البني الإيديولوجية المسيطرة وجهة نظرها بقوتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية" أما المثال الملموس الذي يضربه الدكتور المناصرة فهي الفرانكفونية باعتبارها حالة تاريخية ولغوية وأدبية واحتلالية مستمرة.

هـ نبيل راغب:

نص الناقد المصري الدكتور نبيل راغب موضوع عالمية الدب بكتاب مستقل عنوانه: معالم الأدب العالمي المعاصر" إن أول ما يلفت الانتباه في هذا الهنوان هو أن المؤلف

---

[1]- مرجع نفسه ص53-95.
[2]- مقدمته في نظرية المقارنة عز الدين المناصدة، دار الكرمل، عمان 1988، (د ط) ص53.

يتحدث عن أدب عالمي يتصف بالمعاصرة، رغم أن العالمية تحتاج إلى وقت . فالعمل الأدبي لا ينتشر عالميا بمجرد صدوره، بل لابد من مرور بعض الوقت كي يتـرجم إلى اللغـات الأجنبية، وينشر ويتناوله النقاد الجانب بالتوسيط، فالحديث عن "عالمية" و "معاصـرة" في آن واحد هو حديث إشكالي، ولكن تلك الإشكالية تزول إذا تفحصنا ما يعنيه المؤلـف بالعالمية، فالأدب العالمي المعاصر الذي يعنيه الدكتور راغب هو الأدب المعاصر في ثمانيـة آداب أجنبية كبرى كلها أوربية وغربية، ومن الملاحظ أن المؤلف قد أغفل العديـد مـن الآداب الأوربية، الغربية والشرقية، وأغفل بالكامل الآداب آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية فأخرجها من دائرة الأدب العالمي الذي يعنيه [1]

و- حسام الخطيب:

كان الدكتور حسام الخطيب أحد النقاد والمقارنين العرب الذين شغلتهم قضية عالمية الأدب عموما، وعالمية الأدب العربي على وجه التحديد، مما حمله على ان يتخصص لهـا بحثا قدمه عام 1986 إلى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن وقد عبر الـدكتور الخطيب في ذلك البحث عن فهم متطور لعالمية الأدب التي نظر إليها باعتبارها ارتقاء أدب كليا أو جزئيا، إلى مستوى الاعتراف العالمي العام بعظمته وفائدته خارج حدود لغتـه أو

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص98-99.

منطقته، والإقبال على ترجمته وتعرفه ودراسته، بحيث يصبح عاملا فاعلا في تشكيل المناخ الأدبي العالمي لمرحلة من المراحل أو على مدى العصور [1]

فمن مؤلفاته: في نظرية والمنهج الجزء الأول، تطبيقات في الأدب المقارن الجـــزء2، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا.

[1]- مرجع نفسه ص101.

3.2- أدباء الغرب المقارنون:

أ-رينيه اتيامبل:

أثارت نزعة المركزية الأوربية والغربية التي اصطبغت بها الدراسات المقارنة، ولا سيماد رايات التأثير والتأثر التقليدية، انتقادات وردت من أولئك المقارنين الذين يعرفون حق المعرفة أن لدى شعوب غير أروبية، كالعرب والفرس والصينيين والهنود... ثقافات عريقة وكنوزا أدبية ثمينة لا يجوز تجاهلها، ومن أشهر المقارنين الذين انتقدوا نزعة المركزية الأوربية، ودعوا إلى انفتاح الأدب المقارن على الآداب غير الأوربية، المقارن الفرنسي الكبير رينيه اتيامبل (René Etiemble)، الذي حن المقارنين على تعلم اللغات الشرقية والإطلاع على آدابها بغية توسيع آفاقهم الأدبية، وأيد إحياء مفهوم (الأدب العالمي) الذي جاء به غوته، وطالب بإجراء مقارنات أدبية على المستوى العالمي، لا يهدف تتبع علاقات التأثير والتأثر واستعمال تاريخ الآداب القومية، وإنما بغرض التوصل إلى شعرية مقارنة" ، لقد وعى رينيه اتيامبل، الذي كان في أول الأمر معزولا بمفرده خارج السرب ضرورة تحرير الأدب المقارن من المركزية الأوربية، وأن تنطلق الدراسات الأدبية المقارنة لا من عدد محدود من الآداب بل من الدب العالمي، ففتح بذلك للآداب المقارن آفاق رحبة.

ب- فإن تيغم:

نبه المقارن الفرنسي المعروف فان تيغم (Ph. Van Téteghem) المقارنين إلى إشكالية يمكن أن يعقوا فيها عندما يتصدون لقضية عالمية الأدب، ألا وهـي الإشـكالية النابغة عن حقيقة أن بعض الأدباء يصيبون خارج بلادهم نجاحا لا يستحقونه كما نبه هذا المقارن إلى أن لكبار الكتاب في الأدب العالمي، فيما نسبية تختلـف عـن القـيم الـتي يستحقوها في آداهم[1]، لأن الدور الذي لعبه كل منهم على المسرح العالمي الواسع يتفاوت تفاوتا عظيما، فقد لاحظ فان تيغم أن بعض كتاب الدرجة الثانية قد لعبوا في عـصرهم دورا كبيرا، وكان لهم تأثير لا يقل عن تأثير غيرهم من الناحية العالمية،وهذه ملاحظاتـه بالغة الأهمية، ترسم علامة استفهام على مفهوم الأدب العالمي الذي ينطلق مـن أن الأدب العالمي هو مجموع الروائع الأدبية التي تنتمي إلى آداب قومية مختلفة ومن الأمور الهامة التي لاحظها هذا المقارن الكبير حقيقة وجود آداب "ذات إشعاع محدود" لا تلقي العناية الـتي تستحقها. فقد تكون هذه الآداب متطورة من النواحي الفنية والفكرية، ولكن أسبابا غير أدبية تؤدي إلى حجب الاهتمام عنها وعدم تقدير إنجازاتها.

ولفان تيغم في السياق نفسه ملاحظة هامة أخرى، ألا وهي ان انتـشار العمـال الأدبية الأجنبية بدون وسيط يكون نادرا في البلدان التي تكون معرفه اللغات الأجنبية فيها وفقا على عدد قليل من الناس".

[1]- مرجع سابق (الدب المقارن مشكلات وآفاق) ص 84-85.

.يستخلص مما قاله فان تغيم بخصوص عالمية الأدب أن النجاح والشهرة اللذين يحظى بهما الأدباء خارج أوطانهم لا يمكن أن يعد معيارا وحيدا لعالميتهم، فالشهرة العالمية قد لا تقترن بالجودة، وهناك من الأدباء من يحققون نجاحا عالميا مؤقتا، ولكن ذلك لا يسوغ أن يصنفوا مع الأدباء العالميين، ومن الأمور الهامة التي انتبه إليها فان تيغم دور تعليم اللغـــات الأجنبية في انتشار الأعمال "بدون وسيط" ، إلا أن لتعليم اللغات الأجنبية وتحول بعـــض تلك اللغات إلى لغات عالمية دورا يفوق الدور الذي نسبه غليه المقارن المذكور فيما يتعلق بعالمية الأدب، فهذا الدور لا يقتصر على تحديد فرص انتشار الأعمال الأدبية في الخـــارج بدون وسيط، بل بوسيط أيضا، أي بالتوسيط الترجمي والنقدي ومن الملاحظ أيـــضا أن "فان تيغم" لم يفصل مسألة (الآداب ذاتها الإشعاع الحدود" فهل ترجع قلة الإشعاع هذه إلى تلك الآداب هي آداب لغات ضفيرة ليس لها عدد كبير من المتكلمين أم إلى أنها آداب غير متطورة ليس فيها روائع أدبية تستحق أن تترجم إلى للغات الأجنبية وأن تحظى بشيء من العالمية. [1]

ام إلى أنها آداب شعوب تتعرض للهيمنة اللغوية والثقافية الخارجية، وتقوم الأطراف المهيمنة بالتعتيم عليها وحرمانه من الإشعاع.

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص85-86.

جـ برونيل/ بيشوا / روسو:

ومن المقارنين الذين تنبهوا إلى ما تنطوي عليه عالمية الأدب من إشكالية المقـــارنون الفرنسيون برونيـــل / بيـــشو / روســـو P. Brunel/ CL .Pichois A. M Rousseau) فهم يرون ان الأدب العالمي يتألف من أعمال متميزة عبر الشهرة العالمية التي حققتها والنوعية الخالدة التي تقدمها، إلا أن هؤلاء المقارنين لاحظوا أيضا أن الاتصال الوثيق بين أدب وحضارة سائدة يشجع على إيـــصال هـــذا الأدب إلى مـــستوى الأدب العالمي، إنها فكرة بالغة الأهمية، ولكن المؤلفين لم يحددوا ماهية "الحضارة الـــسائدة" ، ولم يتطرقوا غلى الآداب التي دخلت دائرة العالمية نتيجة ارتباطها بتلك الحـــضارة، ولاحـــظ برونيل/ بيشو / روسو بالمقابل أن انتماء أدب ما إلى أقلية لغوية، يعيق انتـــشاره لغويـــا، وهذه فكرة هامة أيضا، ولكنها لم تعط حقها من التعميق والتفصيل غنها تعني ضـــمنا أن انتماء الأعمال الأدبية إلى أكثرية لغوية، أي إلى لغات كبيرة وواسعة الانتـــشار، يـــسهل انتقالها إلى دائرة العالمية، حتى إذا كانت تلك الأعمال عبر "متميزة" فنيا وموضوعيا.[1]

د-رينيه ويليك:

وهو أبرز من تزعم المدرسة الأمريكية الذي يرى ضرورة أن يدرس الأدب المقـــارن كله منظور عالمي، ومن خلال الوعي بوحدة التجارب الأدبية والعمليات الخلافة، أي انه يرى أن الأدب المقارن هو الدراسة الأدبية المستقلة عن الحدود اللغوية العنصرية والسياسية

[1]- مرجع سابق (الأدب المقارن مشكلات وآفاق) ص86-87.

وهو يعيب على المدرسة الفرنسية أنها تنحصر الأدب المقارن في المنهج التـــاريخي، بينمـــا تتسع الرؤية الأمريكية بين المنهج التاريخي والمنهج النقدي، باعتبارهما عاملين ضروريين في الدراسة المقارنة [1]

[1]- موقع إلكتروني www.wiki dibiyo. com

خاتمة

مصطلح الأدب المقارن كغيره من المصطلحات الأدبية أثار و لا زال يثير الكثير من الإشكاليات و دخل في مهمة التعريفات المتنوعة و المختلفة، ناهيك على ما يثيره مصطلح(الأدب) نفسه ، اختلافات و بعيدا عن كل اختلافات فالأدب المقارن هو دراسة أدبية لأدب ما مع ذكر أوجه التشابه و الاختلاف في كل أدب.

و عليه يستبعد من الأدب المقارن كما يعقد من مقارنات أو موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية كي تؤثر أحدهم على الآخر أو يتأثر به... مثل الموازنة بين الشاعر الإنجليزي (ملتن) و الشاعر العربي أبي العلاء المعري لوجود بعض التشابه بينهما فكلاهما كان أعمى و لهما آراء متطرفة في المسائل الدينية، لكن كلا الشاعرين لم يعرف أحدهما الآخر و لم يتأثر به و تشابه آرائهما و مكانتهما الإجتماعية ليس لهما قيمة تاريخية إن مثل هذه المقارنات ربما تكون مهمة و مفيدة لكنها لا تدخل باب الأدب المقارن لافتقادها الصلة التاريخية و الأدب المقارن يهدف الوصول إلى عرض.

- و المدارس الأدب المقارن الأجنبية ثلاث الفرنسية و الأمريكية و السلافية، إذ تختص كل واحدة منها في دراسة الأدبية المقارنة إلى أسس و منهجية في دراسة مقارنة.

- المدرسة الفرنسية من أسسها هي أنها لا تعترف بالمقارنة بين أدبين أو ظاهرتين أدبيتين إلا بعد وجود ما يثبت التأثر و التأثير.

- و المدرسة الأمريكية نشأت برّد فعل عن المدرسة الفرنسية وإنما هي أساسها الأسس الاجتماعية الاقتصادية و أسس الطبيقية و تاريخ الحضارة لتجعل من ذلك كله إطار الظاهرة الأدبية التي تدرسها.

- المدرسة السلافية و منظورها في الدراسة الأدبية هي دراسة نقدية و هي من تثبت مصطلح الأدب العالمي.

- و أما المدرسة العربية فليس لها منهج فمن المقارنون العرب منهم من سلبك المنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية و منهم من سلك منهج الاشتراكي للمدرسة الأمريكية.

-و المدرسة العربية تبنت المنهج الماضوي

-ومن المقارنين العرب للأدب المقارن هو " محمد غنيمي هلال " و " فؤاد المراعي " و " سعيد علوش" و "عز الدين المناصرة و نبيل راغب " و " حسام الخطيب ".

-و أيضا درس الأدباء الغرب المقارنون و هم: " رينيه اتيامبل، فان تيغم، برونيل، بيشو، روسو و رينيه ويليك" .

مصادر مراجع

قائمة المصادر و المراجع

1- الآداب المقارنة، محمد التونجي، دار الجبل ، بيروت 1990، ط1.

2- آفاق الأدب المقارن عربيا و عالميا، د.حسام خطيب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1992،(ط1).

3- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة و دار الثقافة، بيروت، 1980،ط5.

4- الأدب المقارن، د. طه نداء، دار المعروف الجامعية 1996،(د.ط).

5- الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق، د.إبراهيم عبد الرحمن محمد، القاهرة 1776(د.ط).

6- الأدب المقارن مشكلات وآفاق، د.عبده عبود، من منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999(د.ط).

7- الأدب المقارن أصوله وتطوره و مناهجه، د. الطاهر أحمد مكي الناشر، مكتبة الآداب 1987،ط1.

8- الأدب المقارن بين التجربة الأمريكية و العربية، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار الفيصل الثقافية، الرياض 1995، (د.ط).

9- الأدب المقارن، د.يوسف يكاراد، خليل الشيخ، شركة عربية للتسويق و التوزيدات بتعاون مع جمعية قدس مفتوحة2008، (د.ط).

10- الأدب المقارن، مجدي وهبي، شركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان 1991،ط1.

11- الأدب المقارن في دراسة مقارنة تطبيقية، سلوم داود، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع 2003،ط1.

12- الأدب المقارن و دور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه و اتجاهاته ، د حيدر محمود غيلان.

13- إشكالية التيارات و التأثير الأدبية في الوطن العربي ، سعيد علوش ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء 1986 ، (د.ط) .

14- الأدب المقارن ، كلوط بيشوا أندريه م روسو ، ترجمة د.أحمد عبد العزيز ، مكتبة الأنجلو المصرية 2001 ، ط3 .

15- الأدب المقارن ، مقدمة نقدية ، سوزان ماسيت ، أميرة حسن نويرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1999 (د.ط) .

16- دراسات في الأدب المقارن ، د.بديع محمد جمعة ، دار النهضة العربية 1980 ، ط2 .

17- دراسات في الأدب المقارن ، صالح زياد ، الرياض ، دار المفردات 2006 (د.ط) .

18- دراسات في النقد المسرحي و الأدب المقارن ، د.محمد زكي العشماوي ، دار الشروق 1994 ، ط1 .

19- دراسات في الأدب المقارن ، مكتبة الأنجلوالمصرية 1989 (د.ط)

20- الكتاب الفلسطينيون و الأدب المقارن ، دومي خالدي إدوارد سعيد ، عز الدين المناصرة ، حسام الخطيب ، فريال غزولي و آخرون ، العامة لقصور الثقافة ، سلسلة كتابات نقدية ، العدد 102 ، 2000 .

21- ما الأدب المقارن ، بيروبدونيل كلود بيشوا ، أندريا ميشال روسو ، منشورات دار علاء الدين ، ترجمة د.غسان السيد ، دمشق 1996 ، ط1 .

22- مدخل إلى الدرس المقارن ن د. أحمد شوقي رضوان ، دار العلوم العربية ، بيروت، لبنان 1996 ، ط1 .

23- محاضرات في الأدب المقارن ، زبير دراقي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر 1992 (د.ط) .

24- مدارس الأدب المقارن ، سعيد علوش ، الناشر ، المركز الثقافي العربي 1987 ، ط1 .

25- نحو نظرية جديدة للأدب المقارن ، ج1 ، د. أحمد عبد العزيز ، مكتبة الأنجلو المصرية 2002 ، ط1 .

26- طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث ، د. عصام جهي ، دار النشر للجامعات 1996 ، ط1 .

موقع إلكتروني :

//22-1-8 doc segro . hufs . ac.kr/middleast/pdf.

فهرس الموضوعات

فهرست الموضوعات